سلسلة
رَوْضُ الأَلْبَابِ.. وَسَمِيرُ الأَحْبَابِ
(العدد الثاني)

الدكتور
صالح بن مطر الهطالي

سلسلة

رَوضُ الأَلبابِ.. وسَمِيرُ الأَحْبابِ

(العدد الثاني)

د. صالح بن مطر الهطالي

www.alhatali.com

بريد إلكتروني: saleh@alhatali.com

تويتر: @smalhatali

جميع الحقوق محفوظة وسجلة

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

رؤى

واتساب: ٩٧٥٤٩٢٢٣

ruaadar@gmial.com

تويتر: @ruaadar

تنفيذ طباعي

دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان / بئر العبد - هاتف: ٠٠٩٦١ ٣ ٤١٣٢٥٦

موبايل: ٠٠٩٦١ ٣ ٩٠٢٩٤٤

E-mail: dar.alkari2012@gmail.com

بغداد - العراق / شارع المتنبي مدخل جديد حسن باشا

موبايل: ٠٧٧٢٢٢٩٧١٢١

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة لدى:

مركز غاية المراد للصوتيات والمرئيات

سلطنة عمان - نزوى

هاتف رقم: ٢٥٤١٠٨٧٣ - فاكس رقم: ٢٥٤١١١٩١

هاتف الإدارة: ٩٨٩٩٩٨٣

E-mail: ghayatalmurad@gmail.com

مكتبة وتسجيلات غاية المراد

مكتبة غاية المراد

GHAYAT AL MURAD BOOKSHOP

مكتبة السيدة فاطمة الزهراء

هاتف: 92908620

25434506 92988061

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
التوحيد والعقيدة	٦
آية وتفسير	٩
حديث نبوي	١٠
إيمانيات	١٦
دعاء	١٨
حكمة	١٩
غزوات ومعارك	٢١
شؤون أُسْرية	٣٠
كُن سعيدًا	٣٥
من روائع الأدب العربي	٣٧
السيرة النبوية	٤٦
رأي	٤٩
زاد طالب العلم	٥٦
عجائب وغرائب	٦٤
شؤون صحية	٦٩
التاريخ والسِّيَر	٧٤
شباب وفتيات	٨٢
صدِّق أو لا تُصدِّق	٩٠

العنوان	الصفحة
من لطائف الشعر	٩٦
شؤون سياسية	١٠٥
فتوىٰ شرعية	١٢٦
عظماء ومشاهير	١٢٧
فنون الدعوة إلىٰ الله	١٣١
شخصية العدد	١٣٦
طريقك إلىٰ النجاح	١٤٥
مسابقات وألغاز	١٤٧
عِبْرة وعِظَة	١٥١
صهيونية وصليبية	١٥٥
أفلاك ومجرات	١٦٥
قصة وعبرة	١٦٨
أقوال مشهورة	١٧١
كلمات ومعانٍ	١٧٤
غذاء العقول	١٧٥
أمثال مشهورة	١٧٨
ثقافة عامة	١٨١
مقال صحفي	١٨٥
الإجابات	١٩٣
المراجع	١٩٦

التوحيدُ والعقيدةُ

يقول سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي- حفظه الله وأمدَّ في عمره- في كتابه «برهان الحق»[1]:

«وما من ريبٍ أنَّ أقبح جهلٍ وأضرَّه أن يجهل الإنسان خالقه تعالىٰ، مع أن كل خلية من خلايا جسمه معبِّرة بلسان حالها عن افتقارها إليه، شاهدةٌ علىٰ أن وجودها ليس هو إلا أثرًا من آثار وجوده تعالىٰ، فضلًا عما يُحيط بالإنسان من أجناس الكائنات الناطقة ذراتها جميعًا بافتقارها إلىٰ واهب الوجود لكل موجود، الذي هو واجب الوجود لذاته، فمن هنا كانت دعوات المرسلين جميعًا في أممهم تبدأ بتبصيرهم بوحدانية الله تعالىٰ، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦]، وحكىٰ عن كلٍّ من نوح وهود وصالح وشعيب أنهم قالوا لأقوامهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الأعراف:٦٥]، وحكىٰ عن المسيح عليه السلام أنه قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾ [المائدة:٧٢]، ذلك لأن توحيد الله سبحانه هو مبدأ الهدىٰ ومصدر الاستقامة، وأساس

(١) برهان الحق، الخليلي، ج ١، ص ٧.

التصوُّر الصحيح للحياة والوجود، ولم يعرف اللهَ مَن جعل له شريكًا في ملكه، أو نظيرًا من خلقه، أو مُعينًا له علىٰ أمره.

هذا؛ وجميع المعتقدات الصحيحة التي يُشاد عليها صرح الدين، ويقوم بها قائم الحق، إنما تعود إلىٰ معرفة الله سبحانه، لأنها إما أن تكون داخلة في معرفة صفاته أو معرفة أفعاله، فالإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقضائه وقدره لا يخرج شيءٌ منه عن الإيمان بأفعاله تعالىٰ؛ لأنه خالق الملائكة ومُصرِّفهم، ومُنزِّل كتبه، وباعث رسله، ومُنشئ الوجود في اليوم الآخر، وما يؤول إليه عباده فيه لا يخرج عن كونه أثرًا لوعده أو لوعيده، وما القضاء والقدر إلا من مظاهر ربوبيته، ومعالم قهره وسلطانه، وانفراده بتدبير خلقه.

وهذه هي كليات الإيمان التي تعود إليها جزئياته، وما الإيمان إلا أمانٌ للمؤمنين، أمانٌ لحياتهم الدنيا ولحياتهم الأخرىٰ، أما في الدنيا فمن حيث إنه يُبصِّر مَن أُكرِم به بقيمة هذه الحياة، وكيف يجب أن تُساس، فيكفي المؤمن شرَّ وساوس نفسه ونزغاتها، ويُسيطر علىٰ غرائزها وعواطفها، حتىٰ تتفاعل جميعًا مع مقتضيات إيمانه، فيستفيد من كل طاقاته ومَلَكاته، ليُطلقها في مجالات الخير والصلاح والرُّشْد، ويضبطها لئلا تندفع في مزالق الشرِّ والفساد والغيِّ، وبهذا يُوقىٰ فتنة الحياة ومُضلاتها، وبقدر ما يكثر من حوله المؤمنون يغزُر الخير ويعمُّ الصلاح ويسود الحياةَ

الأمانُ والاستقرارُ، فلا فتنةٌ تُزعِج، ولا بأسٌ يُتَّقىٰ، وإنما تتحوَّل الحياة كلها إلىٰ واحة راحة وهدوء.

وأما في الآخرة؛ فإن ثمرة الإيمان في هذه الدنيا ما هي إلا بذورٌ لخير الآخرة المستمر، وسعادتها الدائمة، ونعيمها المُقيم، والذي يقطع رحلة هذه الحياة الدنيا إنما يسلُك قفراءَ موحِشة، منطمسة الصَّوىٰ، مندِرسة المعالم، مظلمة الجوانب، ما له فيها من مُبصِّرٍ بقصد السبيل ومواطئ الأقدام واتِّقاء الأخطار إلا الإيمان، الذي هو نورٌ في النفس ونورٌ في الحياة، فيه يتخلَّص المرء مما يتهدَّده من نفسه من شهواته ورغباته وعواطفه وغرائزه، ومما يتهدَّده من بيئته ومجتمعه ومحيطه القريب والبعيد، من المغريات علىٰ الضلال التي تُؤثِّر علىٰ النفس وتُزلزل أركانها، لتستجيب لنداء الهدىٰ، وتنقاد لداعي السوء، وتُفلِت يدُها عن الاستمساك بالعروة الوثقىٰ التي لا انفصام لها».

آيةٌ وتفسيرٌ

✓ كل ما في القرآن من ذكر (الأسف) فمعناه «الحزن»، إلا ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف:٥٥] فمعناه «أغضبونا».

✓ كل ما في القرآن من ذكر (البروج) فهي «الكواكب»، إلا ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨] فمعناه «القصور الطوال الحصينة».

✓ كل ما في القرآن من ذكر (البَعْل) فهو «الزوج»، إلا ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات:١٢٥] فهو «الصنم».

✓ كل ما في القرآن من ذكر (الرُّجْز) فهو «العذاب»، إلا ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر:٥] فمعناه «الصنم».

✓ كل ما في القرآن من ذكر (السُّخْر) فهو «الاستهزاء»، إلا ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف:٣٢] فمعناها «التسخير والاستخدام».

✓ كل ما في القرآن من ذكر (أصحاب النار) فهم «أهل النار»، إلا ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المدثر:٣١] فمعناها «خزنتها».

✓ كل ما في القرآن من ذكر (النكاح) فيُقصَد به «عقد الزواج»، إلا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ [النساء:٦] فهو «الحُلُم» أي سِنّ البلوغ.

حديثٌ نبويٌّ

قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ))[1].

شرح الحديث[2]

- ((مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ)): أي قصده ونيته ومطلبه.
- ((جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ)): أي جعله قانعًا بالكفاف والكفاية كي لا يتعب في طلب الزيادة.
- ((وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ)): أي أموره المتفرقة بأن جعله مجموع الخاطر بتهيئة أسبابه من حيث لا يشعر به.
- ((وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا)): أي ما قُدِّر وقُسِم له منها.

---

(١) سنن الترمذي (حديث رقم: ٢٤٦٥، ج ٤، ص ٦٤٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) «شرح حديث (مَن كان همُّه الآخرة أتته الدنيا راغمة)»، موقع «المقالة»، تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٢١م على الرابط الآتي:
https://tinyurl.com/2jjr829m

✓ ((وَهِيَ رَاغِمَةٌ)): أي ذليلة حقيرة تابعة له، أي تقصده طوعًا وكرهًا لا يحتاج في طلبها إلىٰ سعيٍ كثيرٍ، بل تأتيه هيِّنة ليِّنة علىٰ رغم أنفها وأنف أربابها.

✓ ((وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ)): وفي المشكاة[1] «ومن كانت نيته طلب الدنيا».

✓ ((جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ)): أي جنسَ الاحتياج إلىٰ الخلق كالأمر المحسوس منصوبًا بين عينيه.

✓ ((وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ)): أي أموره المجتمعة.

✓ ((وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ)): أي وهو راغم؛ فلا يأتيه ما يطلب من الزيادة، علىٰ رغم أنفه وأنف أصحابه.

فيكون معنىٰ الأول: وأتاه ما كُتِب له من الدنيا وهي راغمة، ومعنىٰ الثاني: وأتاه ما كُتِب له من الدنيا وهو راغم. قال السندي[2]: «فالحاصل أن ما كُتِب للعبد من الرزق يأتيه لا محالة، إلا أنه مَن طلب الآخرة يأتيه بلا تعب ومَن طلب الدنيا يأتيه بتعب وشدة، فطالبُ الآخرة قد جمع بين الدنيا والآخرة؛ فإن

(١) هو كتاب «مشكاة المصابيح»، من تأليف محمد الخطيب التبريزي، جمع فيه متون الأحاديث النبوية، ثم رتَّبها علىٰ طريقة كتب الجوامع، وأضاف الحُكم عليها (بالصحة أو الحسن أو غيرها)، وكان متأثرًا بكتاب مصابيح السنة للبغوي.

(٢) حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه، السندي، ج ٢، ص ٥٢٥.

المطلوب من جمع المال الراحة في الدنيا، وقد حصلتْ لطالب الآخرة، وطالبُ الدنيا قد خسر الدنيا والآخرة؛ لأنه في الدنيا في التعب الشديد في طلبها، فأيُّ فائدة له في المال إذا فاتت الراحة».

وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان[١]: «تعذيب طلاب الدنيا ومُحبِّيها ومُؤْثِريها علىٰ الآخرة، بالحرص علىٰ تحصيلها، والتعب العظيم في جمعها، ومقاساة أنواع المشاقِّ في ذلك، فلا تجد أتعب ممَّن الدنيا أكبرُ همِّه، وهو حريص بجهْده علىٰ تحصيلها، والعذاب هنا هو الألم والمشقة والتعب».

حُكْم جمع المال

وجمع المال إذا قام فيه بالواجبات، ولم يكتسبه من الحرام لا يعاقَب عليه، لكن إخراج الفَضْل والاقتصار علىٰ الكفاية أفضل وأسلم وأفرغ للقلب وأجمع للهم وأنفع للدنيا وللآخرة[٢].

الآثار الواردة في الزهد في الدنيا

قال الحسن البصري[٣]: «مَن أحبَّ الدنيا وسرَّته، خرج خوفُ

(١) إغاثة اللهفان، ابن القيِّم، ج ١، ص ٥٦.
(٢) مختصر الفتاوىٰ المصرية لابن تيمية، البعلي، ص ٤٩٤.
(٣) الزهد، ابن أبي الدنيا، ص ١٥٦.

الآخرة من قلبه، ومَن ازداد علمًا ثم ازداد على الدنيا حرصًا لم يزدَدْ من الله إلا بُعدًا، ولم يزدَدْ من الله إلا بُغضًا». وقال عون بن عبد الله بن عتبة[١]: «كانوا يتواصون فيما بينهم بثلاثة أحرف يكتب بها بعضهم إلى بعض: (مَن عمل لله تعالى كفاه الله الناس، ومَن عمل لآخرته كفاه الله دنياه، ومَن أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته)». وفي بعض الآثار[٢]: «مَن ذا الذي يبني على موج البحر دارًا، تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارًا».

وهذا تلخيص لبعض النقاط التي ذكرها ابن القيم في «عدة الصابرين»[٣]:

١) تواتر عن السلف أن حبَّ الدنيا رأسُ الخطايا، وذلك معلوم بالتجربة والمشاهدة؛ فإن حُبَّها يدعو إلى خطيئة ظاهرة وباطنة، ولا سيما خطيئة يتوقَّف تحصيلها عليها، فيسكَرُ عاشقها بحبها عن علمه بتلك الخطيئة وقبحها وعن كراهتها واجتنابها، وحبُّها يوقع في الشبهات ثم في المكروهات ثم في المحرمات وطالما أوقع في الكفر، وهو الذي عمَّر النارَ بأهلها، والزهد في الدنيا والرياسة هو الذي عمَّر الجنة بأهلها، والسُّكْر بحب الدنيا أعظم من السُّكْر بشرب الخمر بكثير، وصاحب هذا السُّكْر لا يفيق منه إلا في ظلمة

(١) المرجع السابق، ص ١٥٨.
(٢) المرجع السابق، ص ١٥٩.
(٣) عدة الصابرين، ابن القيِّم، ص ٢١٩.

اللحد، ولو انكشف عنه غطاؤه في الدنيا لعلم ما كان فيه من السُّكْر، وأنه أشدَّ من سُكْر الخمر، والدنيا تسحر العقول أعظم سحر. قال يحيىٰ بن معاذ الرازي: «الدنيا خمرُ الشيطان، مَن سَكِر منها فلا يفيق إلا في عسكر الموتىٰ نادمًا بين الخاسرين».

٢) محبتها تعترض بين العبد وبين فعل ما يعود عليه نفعه في الآخرة لاشتغاله عنه بمحبوبه، والناس ها هنا مراتب:

- ✓ فمنهم مَن يشغله محبوبه عن الإيمان وشرائعه.
- ✓ ومنهم مَن يشغله عن الواجبات التي تجب عليه لله ولخلقه، فلا يقوم بها ظاهرًا ولا باطنًا.
- ✓ ومنهم مَن يشغله حبُّها عن كثيرٍ من الواجبات.
- ✓ ومنهم مَن يشغله عن واجب يعارض تحصيلها وإن قام بغيره.
- ✓ ومنهم مَن يشغله عن القيام بالواجب في الوقت الذي ينبغي علىٰ الوجه الذي ينبغي فيُفرِّط في وقته وفي حقوقه.
- ✓ ومنهم مَن يشغله عن عبودية قلبه في الواجب وتفريغه لله عند أدائه، فيؤديه ظاهرًا لا باطنًا، وأين هذا من عُشَّاق الدنيا ومُحِبِّيها؟ هذا من أندرهم، وأقل درجات حُبِّها أن يشغل عن سعادة العبد وهو تفريغ القلب لحب الله ولسانه لذكره وجمع قلبه علىٰ لسانه وجمع لسانه وقلبه علىٰ ربه، فعشقها ومحبتها تضر بالآخرة ولا بُدَّ.

٣) أن محبَّها أشدُّ الناس عذابًا بها، وهو مُعذَّب في دُوره الثلاث: يُعذَّب في الدنيا بتحصيلها والسعيْ فيها ومنازعة أهلها، وفي دار البرزخ بفواتها والحسرة عليها وكونه قد حيل بينه وبين محبوبه علىٰ وجهٍ لا يرجو اجتماعه به أبدًا، ولم يحصل له هناك محبوبٌ يُعوِّضه عنه، فهذا أشدَّ الناس عذابًا في قبره، يعمل الهمَّ والغَمَّ والحزن والحسرة في روحه ما تعمل الديدان وهوام الأرض في جسمه.

٤) أن عاشقها ومحبَّها الذي يؤثرها علىٰ الآخرة من أَسْفَه الخلق وأقلُّهم عقلًا؛ إذ آثر الخيال علىٰ الحقيقة، والمنام علىٰ اليقظة، والظِّل الزائل علىٰ النعيم الدائم، والدار الفانية علىٰ الدار الباقية، وباع حياة الأبد في أرغد عيش بحياة إنما هي أحلامُ نوم أو كظلٍّ زائل.

إيمانيَّاتٌ

يقول هاني الحاج في كتابه «١٠٠ قصة من نهاية الظالمين»[(١)]:

«قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].

فيا مبادرًا بالظلم ما أجهلك، إلىٰ متىٰ تغترَّ بالذي أمهلك، كأنه قد أهملَكَ، فكأنك بالموت وقد جاء بك وأنهلك، وأُذِن بالرحيل وقد أفزعك المَلَك، وأسَرَك البلا بعد الهوىٰ وعَقَلَك، وندِمتَ علىٰ وزْرٍ عظيم قد أثقلك، يا مطمئنًّا بالفاني ما أكثر زلَلَك، ويا مُعرضًا عن النصح كأن النصح ما قيل لك.

أين مَن حصَّن الحصون المشيَّدة واحترس، وعمَّر الحدائق فبالغ وغرس، ونصب لنفسه سرير العز وجلس، وبلغ المنتهىٰ ورأىٰ الملتمَس، وظنَّ في نفسه بالبقاء ولكن خاب الظن في النفس، أزعجه والله هازم اللذات واختلس، ونازله بالقهر فأُنزل عن الفرس، ووجَّه به إلىٰ دار البلاء فانطمس.

فاشترِ نفسك اليوم، فإن السوقَ قائمةٌ، والثمنَ موجودٌ،

(١) ١٠٠ قصة من نهاية الظالمين، الحاج، ص ٤-٥.

والبضائعَ رخيصةٌ، وسيأتي علىٰ تلك السوقِ والبضائعِ يومٌ لا تصل فيه إلىٰ قليل ولا كثير ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن:٩]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان:٢٧].

فخِفِ القِصاصَ غدًا إذا وَفَّيْتَ ما ... كَسَبَتْ يداكَ اليومَ بالقِسْطاسِ

في موقفٍ ما فيهِ إلا شاخصٌ ... أو مُهْطِعٌ أو مُقْنِعٌ للراسِ

أعضاؤُهمْ فيه الشُّهودُ وسِجْنُهُمْ ... نارٌ وحُكْمُهُمُ شديدُ الباسِ

إنْ تُمْطِلِ اليومَ الحقوقَ مع الغِنىٰ ... فغدًا تُؤديها مع الإفلاسِ

دُعاءٌ

دعـاء لسـماحة الشـيخ أحمـد بـن حمـد الخليلـي- حفظـه الله ورعـاه- في **وقفـة عرفـة**:

«اللهـم لـك الحمـد كمـا ينبغي لجـلال وجهـك وعظيم سـلطانك، سـبحانك لا أحصـي ثنـاءً عليـك، أنـت كمـا أثنيـتَ علىٰ نفسـك، أسـتغفرك وأتـوب إليـك، وأُعَـوِّل في إجابـة دعائي عليـك، وأشـهد أن لا إلـه إلَّا أنـت وحـدك لا شـريك لـك، وأن محمـدًا عبـدُك ورسـولُك، اللهـم صـلِّ وسـلِّم وبـارك عليـه وعلىٰ آلـه وصحبـه أجمعيـن.

اللهـم إني أسـألك بـأني أشـهد أن لا إلـه إلا أنـت الواحـدُ الأحـدُ، الـربُّ الصَّمَـدُ، الـذي لـم يلـد ولـم يولـد ولـم يكـن لـه كُفُـوًا أحـد، أسـألك كمـا أحصيـتَ ذنوبـي أن تغفرَهـا جميعًـا، وكمـا أحصيـتَ عيوبـي أن تُصلِحَهـا جميعًـا، وكمـا أحصيـتَ حاجاتـي أن تقضِيَهـا جميعًـا، وكمـا أحصيـتَ سـيئاتي أن تُكفِّرَهـا جميعًـا، وكمـا أحصيـتَ تبعاتـي أن تُخلِّصنـي منهـا جميعًـا، وكمـا أحصيـتَ ديـوني أن تقضِيَهـا جميعًـا، وكمـا أحصيـتَ همومـي أن تُفرِّجَهـا جميعًـا، وكمـا أحصيـتَ كروبـي أن تُنفِّسَـها جميعًـا، وكمـا أحصيـتَ أمراضـي أن تشـفِيَني منهـا جميعًـا، وكمـا أحصيـتَ ذريتـي أن تُصلِحَهـا جميعًـا، وكمـا أحصيـتَ أعدائـي أن تكفِيَنـي شـرَّهم جميعًـا، وصـلِّ اللهـم وسـلِّم وبـارك علىٰ سـيدنا محمـد وعلىٰ آلـه وصحبـه أجمعيـن».

حِكمَةٌ

✓ العقلاء ثلاثة: مَن ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنىٰ قبره قبل أن يدخله، وأرضىٰ خالقه قبل أن يلقاه.

✓ احترس من الباب الذي له مفاتيحُ كثيرة[١].

✓ اختر كلامك قبل أن تتحدَّث، وأعط للاختيار وقتًا كافيًا لنضج الكلام؛ فالكلمات كالثمار تحتاج لوقت كافٍ حتىٰ تنضج.

✓ الألقاب ليست سوىٰ وسام للحمقىٰ، والرجال العظام ليسوا بحاجة لغير اسمهم[٢].

✓ الإنسان الناجح هو الذي يغلق فمه قبل أن يغلق الناس آذانهم، ويفتح أذنيه قبل أن يفتح الناس أفواههم.

✓ البستان الجميل لا يخلو من الأفاعي[٣].

---

(١) أي إذا كان لبابك قفلٌ تفتحه مفاتيح عديدة، فهل ستوزِّع تلك المفاتيح للناس؟ كذلك الحال بالنسبة للذي يُوزِّع أسراره بين كثيرٍ من الناس؟ ومثله يقول المثل العماني: «الباب الذي تأتيك منه الريح، شِدَّه [أي أغلقه] واستريح».

(٢) ومثله قول الشاعر: «ألقاب مملكة في غير موضعها *** كالهِرِّ يحكي انتفاخًا صولَة الأسد»، وهذا يُنسب إلىٰ الشاعر الأندلسي الحسن بن رشيق القيرواني، ويُنسب كذلك إلىٰ أبي بكر محمد بن عمار بن الحسين بن عمار المهري القضاعي الأندلسي.

(٣) يُنسَب هذا القول لمصطفىٰ السباعي.

- ✓ الحياء جمال في المرأة وفضيلة في الرجل.
- ✓ الشجرة العاقر لا يقذفها أحدٌ بحجر[١].
- ✓ الطفل يلهو بالحياة صغيرًا دون أن يعلم أن الحياة سوف تلعب به كبيرًا.
- ✓ القلوب أوعية، والشِّفاه أقفالها، والألسُن مفاتيحها، فليحفظ كلُّ إنسان مفتاح سِرِّه[٢].

(١) أي أن الذي لا يعمل لا يتعرَّض لأذىٰ الناس، وأما العاملون المجتهدون فهم الذين يرشقهم الناس بالنقد والإيذاء، وفي مثل هذا جاء حديث المصطفىٰ ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ))، مسند الإمام أحمد (حديث رقم: ٢٣٠٩٨، ج ٣٨، ص ١٨٧).

(٢) ومثل هذا ما نُسِب إلىٰ يحيىٰ بن معاذ قوله: «القلوبُ كالقُدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها».

غزواتٌ ومعاركُ

(معركة الزَّلَّاقة[١])

سقطت الخلافة الأموية في الأندلس إثر سقوط الدولة العامرية سنة (٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م)، وتفكَّكت الدولة الأندلسية الكبرىٰ إلىٰ عشرين دويلة صغيرة يحكمها ملوك الطوائف، ومن أشهرهم: بنو عباد في أشبيلية، وبنو ذي النون في طليطلة، وبنو هود في سرقسطة، وزعمت كل طائفة من هذه الطوائف لنفسها الاستقلال والسيادة، ولم تربطها بجارتها إلا المنافسة والكَيْد والمنازعات والحروب المستمرة، وهو ما أدَّىٰ إلىٰ ضعفهم جميعًا، وأعطىٰ الفرصة للنصارىٰ المتربِّصين في الشمال أن يتوسَّعوا علىٰ حسابهم.

وفي مقابل التجزئة والفرقة الأندلسية في عصر الطوائف كان النصارىٰ يقيمون اتحادًا بين مملكتي ليون وقشتالة علىٰ يد فرديناد الأول الذي بدأ حرب الاسترداد التي تعني إرجاع الأندلس إلىٰ النصرانية بدلًا من الإسلام.

وواصل هذه الحرب من بعده ابنه ألفونس السادس، حيث

(١) «ذكرىٰ معركة الزلاقة»، مصطفىٰ عاشور، نُشِر علىٰ موقع «إسلام أون لاين»، تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٢١م علىٰ الرابط الآتي، مع بعض التصرُّف: https://islamonline.net/archive/الإسلامي-الوجود-معركة-الزلاقة/

بلغت ذروتها مع استيلاء ألفونس على مدينة «طليطلة» سنة (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)، والتي تُعدُّ أهمَّ المدن الأندلسية وأكبرَ قواعد المسلمين هناك، وكان سقوطها نذيرًا بأسوأ العواقب لبقية الأندلس؛ ذلك أن ألفونس قال صراحة بأنه لن يهدأ له بال حتىٰ يستردَّ بقية الأندلس، ويُخضع قرطبة لسلطانه، وينقل عاصمة ملكه إلىٰ طليطلة.

وكان أسوأ ما في هذه الكارثة المروِّعة أن ملوك الطوائف المسلمين لم يهبُّوا لنجدة طليطلة أو مساعدتها، بل علىٰ العكس وقفوا موقفًا مخزيًا؛ حتىٰ إن بعضهم عرض علىٰ ألفونس تقديم العون والمساعدة، ورأىٰ البعض الآخر أنه لكي يستمر في حكم مملكته آمنًا يجب أن يُوثِّق أواصر الصلة والمودَّة مع ألفونس، ويُحالفه ويُقدِّم له الجزية السنوية، بل شاركت بعض قوات أمراء الطوائف في غزوة طليطلة، وقدَّم أحد هؤلاء الأمراء ابنته لتكون زوجة أو حظِيَّة لألفونس!!

ورأىٰ ألفونس حالة الضعف والجبن التي يعاني منها أمراء الطوائف، والتي تعود في الأساس إلىٰ ترفهم وخواء نفوسهم، وكرههم للحرب والجهد، حتىٰ وإن كان ذلك هو السبيل الوحيد للكرامة والحفاظ علىٰ البقية الباقية من الدين والمروءة؛ لذا رأىٰ ضرورة إضعاف ملوك الطوائف قبل القضاء عليهم نهائيًا؛ وكانت خطته في ذلك تقوم أولًا علىٰ تصفية أموالهم باقتضاء وفرض

الجزية عليهم جميعًا، ثم تخريب أراضيهم وزروعهم ومحاصيلهم بالغارات المتتابعة، وأخيرًا اقتطاع حصونهم وأراضيهم كلما سنحت الفرصة.

ونجحت خطة ألفونس في ذلك كل النجاح، وبدا ضعف ملوك الطوائف أمامه واضحًا ملموسًا؛ فاستهان بهم واحتقرهم، وقال عنهم: «كيف أترك قومًا مجانين تَسمَّىٰ كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم، وكل واحد منهم لا يسِلُّ للدفاع عن نفسه سيفًا، ولا يرفع عن رعيته ضيمًا ولا حيفًا؟»، وعاملهم معاملة الأتباع.

أصبح ألفونس بعد استيلائه علىٰ طليطلة مجاورًا لمملكة إشبيلية وصاحبها المعتمَد بن عباد، وعندها أدرك المعتمَد فداحة خطئه في مصانعة ألفونس ومحالفته واستعدائه علىٰ أمراء الطوائف الآخرين، ولاحت له طوالع المصير المروِّع الذي سينحدر إليه إذا لم تتداركه يد العناية الإلهية بعون أو نجدة غير منتظرة؛ لذا كان من الطبيعي أن تتَّجه أنظار ابن عباد إلىٰ دولة المرابطين القوية الفتِيَّة في بلاد المغرب بقيادة أميرها الباسل يوسف بن تاشفين، ليستنجد به ويطلب منه النصرة ضد هؤلاء النصارىٰ الذين تجمَّعوا من شمالي إسبانيا، فضلًا عن المتطوعين الذين قَدِموا من فرنسا وألمانيا وإيطاليا.

النزاع بين ألفونس السادس والمعتمَد

بدأ النزاع بين الْمَلِكَيْن سنة (٤٧٥ هـ/ ١٠٨٢م) عندما وجَّه ألفونس سفارته المعتادة إلىٰ المعتمد يطلب فيها الجزية السنوية، وكان علىٰ رأس السفارة يهودي يُدعىٰ «ابن شاليب»، فرفض اليهودي تسلُّم الجزية بحجة أنها من عيارٍ ناقص، وهدَّد بأنه إذا لم يُقدِّم له المال من عيارٍ حسن فسوف تُحتلُّ مدائن إشبيلية.

ولما علم المعتمَد بما صدر عن اليهودي أمر بصلبه، وزجَّ بأصحابه القشتاليين في السجن، وعندما استشار الفقهاء استحسنوا ذلك الأمر؛ مخافة أن يتراجع المعتمَد عن قراره بالصمود في وجه النصارىٰ؛ أما ألفونس فقد استشاط غضبًا، وبعث سراياه وجنوده للانتقام والسلب والنهب، وأغار هو بجيشه علىٰ حدود إشبيلية وحاصرها ثلاثة أيام ثم تركها، والمعتمَد يلتزم الدفاع طيلة هذه العاصفة الهوجاء من الغضب الصليبي.

الاستنجاد بالمرابطين

حشد المعتمَد رجاله، وقوَّىٰ جيشه، وأصلح حصونه، واتَّخذ كل وسيلة للدفاع عن أرضه بعدما أيقن أن ألفونس يعتزم العمل علىٰ إبادتهم جميعًا، وأن المسلمين بقدراتهم ومواردهم المحدودة لن يستطيعوا له دفعًا؛ لذا قرَّر أن يستنصر بالمرابطين

في المغرب لمقاتلة هؤلاء النصارىٰ، وكانت دولة المرابطين دولة جهاد وحرب، غير أن هذا الرأي واجه معارضة من بعض الأمراء الذين رأوا في المفاوضات والصلح والمهادنة والسلام وسيلة للأمن والاستقرار [كما هو الحال في أيامنا هذه]، ورأوا في المرابطين عدوًّا جديدًا قد يسلب مُلْكَهم، وقال الرشيد لأبيه المعتمَد: «يا أبتِ أتُدخِلُ علينا في أندلسنا مَن يسلبُ مُلْكَنا، ويُبدِّد شملنا؟»، فردَّ عليه المعتمَد: «أيْ بُنَيْ، والله لا يُسمع عني أبدًا أني أعَدْتُ الأندلس دار كفر، ولا تركتها للنصارىٰ، فتقوم اللعنة عليَّ في الإسلام، مثلما قامت علىٰ غيري، رَعْيُ الجمال عندي- والله- خيرٌ من رَعْيِ الخنازير».

ناشد ملوكُ الطوائف، وعلىٰ رأسهم المعتمَد بن عباد، المرابطين وأميرهم يوسف بن تاشفين لنجدتهم، بل إن المعتمَد عَبَرَ إلىٰ المغرب، والتقىٰ بابن تاشفين الذي وعده خيرًا، وأجابه إلىٰ ما طلب، واشترط لإجابة الدعوة والعبور إلىٰ الأندلس أن يُسلِّم إليه المعتمَد ثَغْر الجزيرة الخضراء ليكون قاعدة للمرابطين في الذهاب والإياب، فوافق المعتمَد علىٰ ذلك.

العبور إلى الأندلس

حشد يوسف بن تاشفين جنده وعتاده، ثم بعث بقوة من فرسانه بقيادة داود بن عائشة فعبرت البحر، واحتلَّت ثَغْر الجزيرة

الخضـراء، وفي (ربيـع الآخـر ٤٧٩هـ/ أغسـطس ١٠٨٦م) بـدأت جيوش المرابطين تعبر من سَبْتة[١] إلىٰ الأندلس، وما كادت السفن تتوسَّـط مـاء مضيـق جبـل طـارق حتىٰ اضطـرب البحـر وتعالـت الأمـواج، فنهـض ابـن تاشـفين ورفـع يديـه إلىٰ السـماء، وقـال: «اللهـم إن كنـتَ تعلـم أن في جـوازي هـذا خيـرًا وصلاحًـا للمسـلمين فسـهِّل علـيَّ جـواز هـذا البحـر، وإن كان غيـر ذلـك فصعِّبـه علـيَّ حتىٰ لا أجـوزه»؛ فهـدأت ثائـرة البحـر، وسـارت السـفن في ريـح طيبـة حتىٰ رسـت علىٰ الشـاطئ، وهبـط منهـا يوسـف، وخـرَّ لله سـاجدًا.

قوبـل بحفـاوة بالغـة هـو وجنـوده، وأمـر قائـدَه داود بـن عائشـة بالتقـدُّم أمامـه إلـىٰ بطليـوس[٢]، كمـا أمـر بـأن توضـع القـوات الأندلسـية كلهـا تحـت قيـادة المعتمَـد، وأن يكـون لجنـد الأندلـس محلَّتهـم وللمرابطيـن محلَّتهـم، وكان يوسـف في تحركـه شـديد الحـذر؛ لأنـه لـم يسـبق لـه أن حـارب جيشًـا نصرانيًّـا، كمـا أنـه لـم يكـن واثقًـا مـن حلفائـه الأندلسـيين؛ لـذا رأىٰ أن تكـون المعركـة في ناحيـة بطليـوس، وألا يتوغَّـل كثيـرًا في أرض الأندلـس.

---

(١) سَبْتة: مدينة مغربية تحت السيادة الإسبانية ذاتية الحكم، تقع علىٰ القارة الأفريقية، ويعتبرها المغرب مدينة محتلة، ولا يزال يطالب باسترجاعها.

(٢) بطليوس: مدينة إسبانية تقع بالقرب من الحدود البرتغالية، أسسها عبد الرحمن بن محمد بن مروان، وكانت عاصمة دولة بني الأفطس.

معركة الزلَّاقة والنصر

ولما بلغ ألفونس نبأ تقدُّم المسلمين لملاقاته، فكَّ الحصارَ الذي كان يضربه حول مدينة سرقسطة، واستدعىٰ قائده البرهانس من بلنسية، وبعث مستغيثًا بجميع النصارىٰ في شمال إسبانيا وما وراء جبال البرانيس، فتقاطرت عليه فرسان النصارىٰ من إيطاليا وفرنسا، واعتزم أن يلقىٰ المسلمين في أرضهم حتىٰ لا تخرب بلاده، وكانت قواته تفوق المسلمين عددًا وعدة، وقد استقرت هذه الجيوش النصرانية علىٰ بعد ثلاثة أميال من المعسكر الإسلامي، ولا يفصل بينهم إلا نهر صغير يسمىٰ «جريرو»، وانضمَّ إلىٰ قوات النصارىٰ الرهبان والقُسُس يحملون أناجيلهم وصلبانهم، محفِّزين بذلك جنود النصارىٰ.

كانت قوات المسلمين تُقدَّر بحوالي ثمانية وأربعين ألف مقاتل، تنقسم في وحدتين كبيرتين من قوات الأندلس، وتحتلُّ المقدِّمة بقيادة المعتمَد، أما القوات المرابطية فتحتلُّ المؤخِّرة وتنقسم إلىٰ قسمين، يضم الأول فرسان البربر بقيادة داود بن عائشة، والقسم الثاني احتياطي، يقوده يوسف بن تاشفين.

لبث الجيشان كل منهما في اتجاه الآخر ثلاثة أيام، وفشلت محاولة ألفونس خديعة المسلمين في تحديد يوم المعركة، وانتهىٰ الأمر بنشوب المعركة مع أول ضوء من صباح يوم الجمعة (١٢ رجب ٤٧٩هـ / ٢٣ أكتوبر ١٠٨٦م) بهجوم خاطف شنَّه فرسان النصارىٰ

علىٰ مقدِّمة المسلمين المؤلَّفة من القوات الأندلسية، فاختلَّ توازن المسلمين وارتدَّ فرسانهم نحو بطليوس، ولم يثبُت إلا المعتمَد بن عباد في مجموعة قليلة من الفرسان، وقاتلوا بشدة، وأُثخِن المعتمَد بالجراح، وكثر القتل في جند الأندلس، وكادت تحلُّ بهم الهزيمة، وفي الوقت نفسه هاجم ألفونس مقدِّمة المرابطين وردَّها عن مواقعها.

وأمام هذه المحنة التي تعرَّضت لها القوات المسلمة، دفع يوسف بقوات البربر التي يقودها أبرع قواده وهو «سير بن أبي بكر اللمتوني»؛ فتغيَّر سير المعركة، واستردَّ المسلمون ثباتهم، وأثخنوا النصارىٰ قتلًا، وفي تلك الأثناء لجأ ابن تاشفين إلىٰ خطة مبتكرة؛ إذ استطاع أن يشقَّ صفوف النصارىٰ، ويصل إلىٰ معسكرهم، ويقضي علىٰ حاميته، ويشعل فيه النار؛ فلما رأىٰ ألفونس هذه الفاجعة، رجع بسرعة شديدة، واصطدم الفريقان في قتال شرس، ودويٌّ طبول المرابطين يصمُّ الآذان، وكثر القتل في الجانبين، خاصة في صفوف القشتاليين، ثم وجَّه ابن تاشفين ضربته الأخيرة إلىٰ النصارىٰ؛ إذ أمر حرسه الأسود، وقوامه أربعة آلاف مقاتل من ذوي البأس الشديد والرغبة في الجهاد بالنزول إلىٰ أرض المعركة، فأكثروا القتل في القشتاليين، واستطاع أحدهم أن يطعن ألفونس في فخذه طعنة نافذة كادت تودي بحياته.

وأدرك ألفونس أنه وقواته يواجهون الموت إذا استمروا في المعركة، فبادر بالهروب مع قلة من فرسانه تحت جنح الظلام، لم يتجاوزوا الأربعمائة، معظمهم جرحىٰ، ماتوا في الطريق، ولم

ينـجُ منهـم إلا مائـة فـارس فقـط.

كان انتصـار المسـلمين في معركـة الزلّاقـة نصـرًا عظيمًـا ذاعـت أنبـاؤه في الأندلـس والمغـرب، واستبشـر المسـلمون بـه خيـرًا عظيمًـا، غيـر أن المسـلمين لـم يحاولـوا اسـتغلال نصرهـم بمطـاردة فلـول النصـارىٰ المتبقيـة والزحـف إلـىٰ أراضـي قشـتالة، بـل لـم يحاولـوا السَّـيْر إلـىٰ طليطلـة لاسـترادها، وهـي التـي كانـت السـبب الرئيسـي في الاسـتعانة بالمرابطيـن، ويقـال إن ابـن تاشـفين اعتـذر عـن مطـاردة القشـتاليين لوصـول أنبـاء إليـه بوفـاة أكبـر أبنائـه.

ونتـج عـن معركـة الزلّاقـة الحاسـمة توقُّـف ملـوك الطوائـف عـن دفـع الجزيـة لألفونـس السـادس، وأنقـذ هـذا النصـر غـربَ الأندلـس مـن غـاراتٍ مدمِّـرة، وأفقـد النصـارىٰ عـددًا كبيـرًا مـن قواتهـم، وأنعش آمـال الأندلسـيين، وحطَّـم خوفهـم مـن النصـارىٰ، ورفـع الحصـار عـن سرقسـطة التـي كادت تسـقط في يـد ألفونـس، وحالـت هـذه المعركـة دون سـقوط الأندلـس كلهـا في يـد النصـارىٰ، ومـدَّتْ في عُمْـر الإسـلام بالأندلـس لحوالـي قرنيـن ونصـف القـرن.

شُؤونٌ أُسَرِيَّةٌ

تقول عايدة أحمد الرواشدة في كتابها «الزوجة المثالية في أعين الرجال»[١]:

«إذا وُفِّق الزوج، وأحسنَ الاختيار، وسار في الطريق المناسبِ في السِّنِّ والثروة والتعليم، ومنحه الله زوجة استكملت شروط الزوجية؛ وجب عليه أن يُنظِّم حياته ومعيشته تنظيمًا يكفُل له الراحة والهناء، وأساس ذلك أن يُدرك ويُحقِّق أن له حقوقًا علىٰ زوجته وعليه واجبات لها، فلا يُفرِّط في حقوقه، ولا يبخسها أشياءها، ولا يظنها أسيرة أوامره:

- أن لا يسمح لها بتجاوز حدودها، وأول ما يجب عليه أن يتَّفق معها علىٰ ما يرضيه، ويُبيِّن لها كل ما يُغضبه، فلا يتراخىٰ في أول عهده في الزواج في السماح بأمور يمنعها عنها في المستقبل، ولا يتشدَّد فيما يراه مباحًا، ومن ذلك أن كثيرًا من الأزواج يتباهون بتقديم زوجاتهم لأصدقائهم، ويسمحون بالاختلاط مع أقاربهم، وقد يجرُّ ذلك إلىٰ بعض الظنون والشُّبُهات بغير حقٍّ في المستقبل، وقد يجرُّ الاختلاط إلىٰ ما لا تُحمَد عُقباه، وفيه من تعدِّي حدود الشرع والعُرف والعقل، الأمر الذي يفسد كل شيء،

(١) الزوجة المثالية، الرواشدة، ص ٤٢، مع بعض التصرُّف.

ويجلب الشقاء والتعاسة، فأولىٰ لهما أن يحتفظا بالواجب، وأن لا يتطرَّفا في التصريح حرصًا علىٰ صفاء القلوب.

▪ كما أن بعضًا من الأزواج يُبيح لزوجته الخروج من دارها وقت ما تشاء، ثم تعود فيستنكر عليها ذلك، فواجب الزوج أن يحرص علىٰ منع كل ما يُكدِّر صفو العيش مع زوجته، وأن يتَّفق معها بهدوءٍ وسكينة علىٰ كل ما يجلب لهما الهناء، ويُبعد عنهما الكَدَر والشقاء.

▪ وعلىٰ الزوج أن يظهر أمام زوجته بحقيقته الكاملة؛ فلا يُخفي عنها يُسْرَهُ ويدع العُسْر، وبالعكس لا يدَّعي الإعسار ويُخفي عنها اليسار، وواجب عليها أن تعرف حقيقة حاله وتتأكَّد مما هو عليه، ليدفعها إلىٰ حبِّ التعاون علىٰ الخير، بحيث لا تُرهقه ولا تُحمِّله ما لا طاقة له به، وتُنظِّم حياتهما البيتية وفقًا لما تعرفه، وليُعوِّدها الطمأنينة وحُسن الظن الدائم، وليحملها علىٰ الاشتراك العملي في تحمُّل المسؤوليات، وتعرف الأمور حسبما يقتضيه الحال.

▪ وعليهما الاحتفاظ بما بينهما من أمرٍ مكتوم أو سِرٍّ محفوظ، فلا يُذيع أحدهما عن الآخر ما لا يرضاه.

▪ وعليهما عدم تجاوز حدَّ المقبول في الهزل أو الجدِّ، وما أقبح الإفراط في الهزل؛ إذ ربما يُؤدي إلىٰ الخصام، ولا يصحُّ أن ينسىٰ أحد الزوجين كرامة الآخر أمام أيِّ إنسان وإن كان ذا قربىٰ، إذ ربما يبدو بحُسن ظنٍّ ما قد يؤول علىٰ عكسه، وأول ما يُظَنُّ

عدم الاحترام، فواجب الزوجين الاحتفاظ بكرامة بعضهما البعض أمام الآخرين.

- أن يتعاون الزوجان علىٰ حُسن تربية أولادهما؛ وذلك أن يقوم كلٌّ منهما بما هو خاصٌّ به، ولا يُقصِّر في واجبه.

- أن يجتنبا الهزل والنزاع والشقاق أمام أولادهما، وإذا مرَّت بهما سحابة اختلاف، وجب عليهما أن يصبرا حتىٰ يختليا، ثم يتناقشان الحساب، وليكونا مثالًا حسنًا، وصورة ظاهرة للخلق الكريم، وما يصحُّ أن يُقلِّدهم فيه أولادهم من الأعمال الصالحة، وأعظم الواجبات أن يتحاشيا الخطأ والزلل وفُحش القول أمام الأبناء.

- أن يتعاون الزوجان علىٰ الاعتدال في الإنفاق، وعدم التقتير والإسراف، والعمل علىٰ حساب المستقبل، والاهتمام بحياة أولادهما المقبلة، وتعويدهم عمليًّا علىٰ السَّيْر في المستقبل.

- يجب أن يكون كلٌّ من الزوجين محبًّا لأهله، بارًّا بهم، محترمًا لهم، كما أنه يكون محترمًا لأهل الآخر، وقد يكون هذا مما يغرس الحبَّ والوفاء، ويُوجِد الألفة والصفاء، ويضرب علىٰ أيدي الدسَّاسين والدُّخلاء.

- واجب الزوج الأمين أن يعمل في السِّرِّ والعلانية ما يُثبت إيمانَ زوجته بحبِّه لها، ووفائه لعهده، ويُؤكِّد عفَّته وأمانته واستقامته،

ويُبعِد عنها وساوس الشيطان؛ لأن الظنَّ والشكَّ مما يصدَع بناء أُلفتهما، والبناء إذا تصدَّع لا بُدَّ من رأبه، ومواد الإصلاح إعادة الثقة وحُسن الظنِّ، وهما ليسا من السهولة كما يُظنُّ؛ إذ يجب أن تصل آثارها إلىٰ سويداء القلب، فتمحو ما عَلَق بجدرانه، ويُخشىٰ إن استمرَّ التصدُّع أن ينتهي إلىٰ التضعضُع والتهدُّم، ولا يمكن إصلاح القلب الكسير المتهدِّم بسهولة، وبغير مشقَّة وعناء، فاستقامة الزوج هي الدعامة الدائمة التي تحوط هيكل الزوجية بسياج الحفظ والوقاية.

أحلىٰ ثمار استقامة الزوج وفاء الزوجة وإخلاصها، والدأبُ علىٰ مرضاته، والاستقامة هي العفة، وعدم السقوط في مهاوي الزلل والمنكر، واجتناب المعاصي والموبقات، وحُسْن التصرُّف، وإقرار الأمور في نصابها، وقلة الإسراف والتبذير، وعدم الشُّحِّ والتقتير، أو مدِّ اليد إلىٰ الاستدانة، أو التظاهر بما ليس عنده من جاهٍ وثروة.

استقامة الزوج أعظم منهج من مناهج التعليم للزوجة والأولاد؛ إذ يكون الأب هو القدوة الصالحة، والهديُ الذي يسير الجميع علىٰ نبراسه، ومن ورائها إتقان الزوجة جميع واجباتها لزوجها، فتكون بارَّةً به، معاونةً له في سرائه وضرائه، في نعمته وشقائه، في عُسْره ورخائه، في فرحه وتَرَحه، تُقاسمه كل ما تستطيعه من مقدورٍ جلبًا لنعمائه وهنائه، وتعمل علىٰ زيادة سعادته، وتسعىٰ لتفريج

كربته، فهي شريكة حياته، والأمينة علىٰ أسراره بعد مماته، وهي الأساس القويُّ لبناء المملكة العائلية التي يُرفرف عليها عَلَمُ الصفاء فتكمُل السعادة، ويعيش أفرادها في ظلِّ السعادة والرخاء.

استقامة الزوج صونٌ لعرضه، واحتفاظٌ بشرفه، ومحافظة علىٰ سمعته وكرامته، وعلىٰ الضِّدِّ إذا زلَّ الزوج فإنما إثمه علىٰ نفسه؛ إذ يهدم بيده بنيان بيت الزوجية، ويقضي علىٰ هنائه، ويعمل بنفسه علىٰ شقائه، وربما امتدَّت نار الدمار إلىٰ كلِّ مَن في البيت، فيُصبح هشيمًا لا يمكن إعادته».

كُنْ سعيدًا

(من علامات السعادة والفلاح[١])

للسعادة والفلاح علاماتٌ تلوح، وإشاراتٌ تظهر، وهي شهودٌ علىٰ رُقيِّ صاحبها، ونجاح حاملها، وفلاح مَن اتَّصف بها. فمن علامات السعادة والفلاح:

- أن العبد كلَّما زِيدَ في علمه، زِيد في تواضعه ورحمته؛ فهو كالجوهر الثمين، كلَّما زاد وزنه ونفاسته، غاص في قاع البحار، فهو يعلم أن العلمَ موهبةٌ راسخةٌ يَمتحِنُ الله بها من شاء، فإنْ أَحْسَنَ شُكْرها، وأَحْسَنَ في قَبُوله، رَفَعَهُ به درجات: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

- وكلَّما زِيدَ في عمله، زِيدَ في خوفه وحَذَرِه، فهو لا يأمنُ عثرةَ القدم، وزلَّةَ اللسان، وتقلُّبَ القلب، فهو في مُحاسَبةٍ ومُراقبةٍ كالطائر الحذِر، كلَّما وقع علىٰ شجرةٍ تركَها لأخرىٰ، يخاف مهارةَ القنَّاص، وطائشةَ الرَّصاص.

- وكلَّما زِيدَ في عمره، نَقَصَ من حرصه، ويعلم علمَ اليقين أنه قد اقترب من المنتهىٰ، وقطعَ المرحلة، وأشرفَ علىٰ وادي اليقين.

---

(١) لا تحزن، القرني، ص ٣٩٧.

- وهو كلَّما زِيدَ في ماله، زِيدَ في سخائه وبذْله، لأن المال عاريَةٌ، والواهبُ ممتحِنٌ، ومناسباتُ الإمكان فرصٌ، والموتُ بالمرصاد.
- وهو كلَّما زِيدَ في قَدْرِه وجاهِه، زِيدَ في قُربه من الناس وقضاء حوائجهم والتواضُع لهم، لأن العبادَ عيالُ الله، وأحبُّهم إلىٰ الله أنفعُهم لعياله.

مِنْ رَوَائِعِ الأَدَبِ العربي

(قصة الأعرابي مع الفضل بن يحيى البرمكي[١][٢])

سأل هارون الرشيد الأصمعي[٣] أن يُحدِّثه شيئًا من أخبار البرامكة، فقال الأصمعي: «أُحدِّثك بشيء شاهدته بعيني من الفضل بن يحيىٰ؛ وذلك أنه خرج يومًا للصيد والقنص، وهو في موكبه إذ رأىٰ أعرابيًّا علىٰ ناقة قد أقبل من صدر البرية يركض في سيره، فقال: هذا يقصدني.

---

(١) البرامكة: أسرة يعود أصلُها إلىٰ مدينة بَلَخْ في أفغانستان، وكانوا في الأصل مَجوسًا ثم دخلوا الإسلام، وكانت أسرة البرامكة غرة علىٰ جبين الدولة العباسية، لما كان لها من المآثر والفضائل والسخاء الشديد، والأعمال العظيمة في الدولة وخاصة أيام هارون الرشيد؛ فيحيىٰ بن خالد البرمكي كان مسؤولًا عن تربية الرشيد، وزوجته مرضعته، وأما ابنه الفضل بن يحيىٰ بن خالد فكان وزير هارون الرشيد وحامل خاتم السلطة، وكان أحد قادة ووزراء الدولة العباسية.

(٢) نوادر الخلفاء، الإتليدي، ص ١٨٦.

(٣) هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. وُلِد في البصرة، وكان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقىٰ أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. كان هارون الرشيد يسميه (شيطان الشعر)، وقال الأخفش: ما رأينا أحدًا أعلم بالشعر من الأصمعي، وقال أبو الطيب اللغوي: كان أتقن القوم للغة، وأعلمهم بالشعر، وأحضرهم حفظًا. وكان الأصمعي يقول عن نفسه: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة. توفي عام ٢٠٨هـ وقيل ٢١١هـ وقيل ٢١٦هـ.

فقلتُ: ومَن أعلمك؟ قال: لا يكلمه أحدٌ غيري.

فلما دنا الأعرابي، ورأىٰ المضاربَ تُضرَب، والخيامَ تُنصَب، والعسكرَ الكثيرَ، والجمَّ الغفيرَ، وسمع الغوغاء والضَّجة، ظنَّ أنه أمير المؤمنين [أي هارون الرشيد]، فنزل وعَقَل راحلته، وتقدَّم وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

قال: وعليك السلام، ولستُ بأمير المؤمنين.

قال: السلام عليك أيها الوزير.

قال: وعليك السلام، ولست بالوزير.

قال: السلام عليك أيها الأمير.

قال: الآن قاربت، اجلس.

فجلس الأعرابي، فقال له الفضل: من أين أقبلتَ يا أخا العرب؟ قال: من قضاعة[1].

قال: من أدناها أم من أقصاها؟ قال: من أقصاها.

---

(١) قضاعة: قبيلة عربية قديمة اختلف النَّسَّابة في نسبها؛ فمنهم مَن نسبها لحِمْيَر، ومنهم من نسبها إلىٰ مَعْد. كانت قضاعة أول أمرها في تِهَامَة علىٰ ساحل البحر بين الحجاز واليمن، ثم صارت إحدىٰ كبريات القبائل في الشام في أيام معاوية بن أبي سفيان.

قال الأصمعي: فالتفت إليَّ الفضل وقال: كم من العراق إلىٰ أرض قضاعة؟ فقلتُ: ثمانمائة فرسخًا.

فقال: يا أخا العرب، مثلُك لم يقصد من ثمانمائة فرسخ إلىٰ العراق إلا لشيء.

قال: قصدتُ هؤلاء الأماجد الأنجاد الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد.

قال: مَن هم؟ قال: البرامكة.

قال الفضل: يا أخا العرب البرامكة خلقٌ كثير، وفيهم جليلٌ وخطير، ولكن منهم خاصة وعامة، فهلَّا أفردتَ لنفسك منهم مَن اخترتَ لنفسك وأتيته لحاجتك؟ قال: أجل! أطولهم باعًا وأسمحهم كفًّا.

قال: مَن هو؟ قال: الفضل بن يحيىٰ بن خالد.

فقال له الفضل: يا أخا العرب، إن الفضل جليل القدر عظيم الخطر، إذا جلس للناس مجلسًا عامًّا لم يحضر مجلسه إلا العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والكُتَّاب والمناظرون للعلم، أعالمٌ أنت؟ قال: لا.

قال: أفأديبٌ أنت؟ قال: لا.

قال: أفعارفٌ أنت بأيام العرب وأشعارها؟ قال: لا.

قال: هل وردتَ علىٰ الفضل بكتاب وسيلة؟ قال: لا.

فقال: يا أخا العرب غرَّتك نفسُك، مثلُك يقصد الفضل بن يحيىٰ، وهو كما عرَّفتُك عنه من الجلالة، بأيِّ ذريعة أو وسيلة تقدُم عليه؟ قال: والله يا أمير المؤمنين ما قصدته إلا لإحسانه المعروف وكرمه الموصوف وبيتين من الشعر قلتُهما فيه.

فقال الفضل: يا أخا العرب أنشدني البيتين، فإن كانا يصلحان أن تلقاه بهما أشرتُ عليك بلقائه، وإن كانا لا يصلحان أن تلقاه بهما بررتُك بشيءٍ من مالي، ورجعتَ إلىٰ باديتك، وإن كنتَ لم تستحقَّ بشعرك شيئًا. قال: أفتفعل أيها الأمير؟ قال: نعم. قال: فإني أقول:

ألم ترَ أن الجودَ من عهدِ آدمَ تَحَدَّرَ حتىٰ صارَ يَملِكُهُ الفَضْلُ

ولو أنَّ أُمًّا قَضَّها جُوعُ طِفلِها ونادتْ علىٰ الفَضْلِ اغْتَذَىٰ الطِّفْلُ

قال: أحسنتَ يا أخا العرب، فإن قال لك: هذان البيتان قد مَدَحَنا بهما شاعر، وأخذَ الجائزة عليهما، فأنشِدني غيرَهما فما تقول؟ قال: أقول:

قد كان آدمُ حينَ حانَ وفاتُهُ أوصاكَ، وهو يَجُودُ بالحَوْباءِ

بِبَنِيهِ أنْ تَرْعَاهُمُو، فَرَعَيْتَهُمْ وَكَفَيْتَ آدمَ عَيْلَةَ الأبناءِ

قال: أحسنتَ يا أخا العرب، فإن قال لك الفضل ممتحنًا: هذان البيتان أخذتَهما من أفواه الناس، فأنشدني غيرهما، فما تقول، وقد رمقتك الأدباءُ بالأبصار، وامتدَّتْ الأعناق إليك، وتحتاجُ أن تناضل عن نفسك؟ قال: إذن أقول:

مَلَّتْ جَهَابِذُ فَضْلٍ وَزْنَ نائِلِهِ وَمَلَّ كاتِبُهُ إِحْصَاءَ مَا يَهَبُ

واللهِ لَوْلاكَ لم يُمْدَحْ بِمَكْرُمَةٍ خَلْقٌ، ولم يَرْتَفِعْ مَجْدٌ ولا حَسَبُ

قال: أحسنتَ يا أخا العرب، فإن قال لك هذان البيتان أيضًا أخذتَهما من أفواه الناس، ما كنتَ قائلًا؟ قال: أقول:

وللْفَضْلِ صَوْلاتٌ علىٰ مَالِ نَفْسِهِ يَرَىٰ المالَ مِنْهُ بِالمَذَلَّةِ وَالعَنَا

وَلَوْ أَنَّ رَبَّ المالِ أَبْصَرَ مَالَهُ لَصَلَّىٰ عَلَىٰ مَالِ الأميرِ وَأَذَّنَا

قال: أحسنت يا أخا العرب، فإن قال لك الفضل: هذان البيتان مسروقان، أنشدني غيرَهما ما تقول؟

قال: إذن أقول:

وَلَوْ قِيلَ لِلمَعْروفِ نَادِ أَخَا العُلَا لَنَادَىٰ بِأَعْلَىٰ الصَّوْتِ: يَا فَضْلُ يَا فَضْلُ

وَلَوْ أَنْفَقْتَ جَدْوَاكَ مِنْ رَمْلِ عَالِجٍ[1] لَأَصْبَحَ مِنْ جَدْوَاكَ قَدْ نَفَدَ الرَّمْلُ

(١) ورد ذكر رمل عالج ورمال عالج في أحاديث كثيرة، وقيل بأنه تعبيرٌ كنائيٌ عن زيادة الشيء وكثرته بحيث لا يكون قابلًا للإحصاء، وقيل بأنه جبال متواصلة يتَّصل أعلاها بالدهناء- منطقة بقرب يمامة- وأسفلها بنجد.

قال: أحسنتَ يا أخا العرب، فإن قال لك الفضل: هذان البيتان مسروقان أيضًا، فأنشدني غيرهما، فما تقول؟ قال: أقول:

وَمَا الناسُ إلا اثنانِ: صَبٌّ وَبَاذِلٌ ... وإِنِّي لَذَاكَ الصَّبُّ وَالبِاذِلُ الفَضْلُ

علىٰ أنَّ لي مَثَلًا كَمَا ذَكَرَ الوَرَىٰ ... وَلَيْسَ لِفَضْلٍ فِي سَمَاحَتِهِ مِثْلُ

قال: أحسنت يا أخا العرب، فإن قال لك الفضل: أنشدني غيرهما ما تقول؟ قال: أقول أيها الأمير:

حَكَىٰ الفَضْلُ عَنْ يَحْيَىٰ سَمَاحَةَ خَالِدٍ ... فَقَامَتْ بِهِ التَّقْوَىٰ وَقَامَ بِهِ العَدْلُ

وَقَامَ بِهِ المَعْرُوفُ شَرْقًا وَمَغْرِبا ... وَلَمْ يَكُ لِلْمَعْرُوفِ بَعْدٌ وَلا قَبْلُ

قال: أحسنتَ يا أخا العرب، فإن قال لك: قد ضجرنا من الفاضل والمفضول، فأنشدني بيتين علىٰ الكنية لا علىٰ الاسم، فما تقول؟ قال: إذن أقول:

أَلا يَا أَبَا العَبَّاسِ يَا وَاحِدَ الوَرَىٰ ... وَيَا مَلِكًا خَدُّ المُلُوكِ لَهُ نَعْلُ

إِلَيْكَ تَسِيرُ النَّاسُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا ... فُرَادَىٰ وَأَزْوَاجًا كَأَنَّهُمُ نَحْلُ

قال: أحسنتَ يا أخا العرب، فإن قال لك الفضل: أنشدنا غير الاسم والكنية والقافية.

قال: والله لئن زادني الفضل وامتحنني بعد هذا، لَأَقُولَنَّ أربعة أبيات ما سبقني إليها عربي ولا أعجمي، ولئن زادني بعدها لَأَجْمَعَنَّ قَوائم ناقتي هذه وأجعلها في حِرِّ أُمِّ الفضل، وأَرْجِعَنَّ إلىٰ قضاعة خاسرًا، ولا أبالي.

فنكَّس الفضل رأسه، وقال للأعرابي: يا أخا العرب: أسمعني الأبيات الأربعة. قال: أقول:

وَلَائِمَةٍ لَامَتْكَ، يَا فَضْلُ، فِي النَّدَىٰ ... فَقُلْتُ لَهَا: هَلْ يَقْدَحُ اللَّوْمُ فِي البَحْرِ

أَتَنْهَيَنْ فَضْلًا عَنْ عَطَايَاهُ لِلْغِنَىٰ ... فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْهَىٰ السَّحَابُ عَنِ القَطْرِ

كَأَنَّ نَوَالَ الفَضْلِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... تَحَدَّرَ هَذَا المُزْنُ فِي مَهْمَهٍ قَفْرِ

كَأَنَّ وُفُودَ النَّاسِ فِي كُلِّ وِجْهَةٍ ... إِلىٰ الفَضْلِ لَاقُوا عِنْدَهُ لَيْلَةَ القَدْرِ

قال: فأمسك الفضل عن فيهِ [أي فَمَه]، وسقط علىٰ وجهه ضاحكًا، ثم رفع رأسه وقال: يا أخا العرب، أنا والله الفضل بن يحيىٰ، سل ما شئت.

فقال: سألتك بالله أيها الأمير إنك لهو؟ قال: نعم.

قال له: فَأَقِلْني [أي سامحني]. قال: أقالك الله، اذكر حاجتك.

قال: عشرة آلاف درهم.

قال الفضل: ازدريتَ بنا وبنفسك يا أخا العرب، تُعطىٰ عشرة آلاف درهم في عشرة آلاف، وأمر بدفع المال، فلما صار المال إليه حسده

وزير الفضل، وقال: يا مولاي هذا إسراف؛ يأتيك جِلفٌ من أجلاف العرب بأبيات استرقها من أشعار العرب فتجزيه بهذا المال؟

فقال: استحقَّه بحضوره إلينا من أرض قضاعة.

قال الوزير: أقسمتُ عليك يا مولاي إلا أخذتَ سهمًا من كنانتك، وركَّبتَه في كبد قوسك، وأومأتَ به إلىٰ الأعرابي، فإن ردَّ عن نفسه ببيت من الشعر، وإلا استعدتَ مالَك، ويكون له في بعضه كفاية.

فأخذ الفضل سهمًا، وركَّبه في كبد قوسه، وأومأ به إلىٰ الأعرابي، وقال له: رُدَّ سهمي ببيتٍ من الشعر؟ فأنشأ الأعرابيُّ يقول:

لَقَوْسُكَ قَوْسُ الجُودِ وَالْوَتَرُ النَّدَىٰ وَسَهْمُكَ سَهْمُ العِزِّ فَارْمِ بِهِ فَقْرِي

قال: فضحك الفضل وأنشأ يقول:

إِذَا مَلَكَتْ كَفِّي مَنَالًا وَلَمْ أَنَلْ فَلَا انْبَسَطَتْ كَفِّي وَلَا نَهَضَتْ رِجْلِي

عَلَىٰ اللهِ إِخْلَافُ الَّذِي قَدْ بَذَلْتُهُ فَلَا مُسْعِدِي بُخْلِي وَلَا مُتْلِفِي بَذْلِي

أَرُونِي بَخِيلًا نَالَ مَجْدًا بِبُخْلِهِ وَهَاتُوا كَرِيمًا مَاتَ مِنْ كَثْرَةِ البَذْلِ

ثم قال الفضل لوزيره: أعطِ الأعرابي مائة ألف درهم لقصده وشعره، ومائة ألف درهم ليكفينا شرَّ قوائم ناقته.

فأخذ الأعرابي المال وانصرف، وهو يبكي، فقال له الفضل:

مـمَّ بـكاؤك يـا أعرابـي، اسـتقلالًا بالمـال الـذي أعطينـاك؟

قال: لا، ولكنني أبكي علىٰ مثلك يأكله التراب وتواريه الأرض، وتذكرتُ قول الشاعر:

لَعَمْـرُكَ مَـا الرَّزِيَّـةُ فَقْـدُ مَـالٍ وَلَا فَـرَسٌ يَمُـوتُ وَلَا بَعِيـرُ

وَلَكِـنَّ الرَّزِيَّـةَ فَقْـدُ حُـرٍّ يَمُـوتُ لِمَوْتِـهِ خَلْـقٌ كَثِيـرُ

السيرةُ النبويَّةُ

(حادثة شقِّ الصدر)

وردت حادثة شقِّ صدر النبي ﷺ في العديد من كتب الحديث والسيرة، منها ما جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَىٰ أُمِّهِ- يَعْنِي ظِئْرَهُ[1]- فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَىٰ أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ»))[2].

وقد اختلف المحدِّثون والمؤرِّخون في قبول هذه الحادثة ورَدِّها، وفي هذا يقول أحد الأساتذة[3]: «لا تفتأ القلوب وُدًّا من طراوة السيرة، وما أحوج دفقاتها لمنهلها الخالص وسط تزاحم

(١) الظِّئْر: الأنثىٰ التي تعطف علىٰ ولد غيرها أو ترضعه، ويطلق علىٰ الذَّكر كذلك.
(٢) صحيح مسلم (حديث رقم: ١٦٢، ج ١، ص ١٤٧).
(٣) حديث الاثنين، سامي بن محمد بن حامد السيابي، حلقة ١٨، برنامج علىٰ الواتساب.

الغفلات، بيد أنه توجد محاولات يائسة لتعكير الصفو، وهي كصويحبات النقيق علىٰ ضفاف الأنهر، وأقصد هنا محاولة بعض المستشرقين النيل من صحة السيرة النبوية من خلال الطعن فيما لا تستوعبه عقولهم المحدودة، وقد تبعهم في ذلك بعض المستغربين من المسلمين، وهم لا يدرون أنهم وُظِّفوا توظيفًا جيِّدًا لخدمة مآرب الغرب.

وجد هؤلاء ضالتهم في حادثة شقِّ الصدر، وهي التي تكرَّرت لنبينا ثلاث مرات، الأولىٰ: عندما كان طفلًا في مضارب بني سعد، إذ أتاه مَلَكَان فصرعاه وشقَّا صدره، واستخرجا قلبَه، وأخذا منه مُضغة سوداء، وقالا: هذا حظُّ الشيطان منك، والثانية: قبل بعثته نبيًّا للعالمين، والثالثة: قبل العروج به للسماء.

يرىٰ العقلاء من المسلمين أن هذه الحوادث صحيحة الحدوث بإيمانهم المطلق بقدرة الخالق جلَّ جلاله، مع تفسيرهم لها بأنها أمرٌ حسِّيٌّ أريد به أمرٌ معنويٌّ؛ فالحادثة الأولىٰ قطعُ سبيل الشيطان عنه، وهذا يُضفي لأنفسنا اطمئنانًا بحسن تربيته علىٰ الخلق الحسن المجانِب لوسوسة الشيطان، والثانية تهيئة نفسيته لاستلام راية الختام التي ستَخرُج بعالميتها لتشمل المعمورة علىٰ تعاقب الأزمان، وكذا الثالثة لتهيئته للإعراج به جسدًا وروحًا إلىٰ السماوات، ومشاهدة الأنبياء والجنة ونعيمها والنار وجحيمها، ومروره بسماء الحُبُك، والطوارق من النجوم العملاقة، والثواقب

والأفلاك والأجرام العظام التي لا تتحمَّل رؤية ثورانها المحتقِّنة نفسُ إنسان إلا بعد تهيئة.

إخوة الإيمان: اعتمد المشكِّكون على منطقيتهم المحدودة في تكذيب حادثة الصَّدر بأمرين، الأول: يحتاج شقُّ الصَّدر لعملية تخدير، والثاني: كيفية تذكُّره ﷺ للحادثة وهو ابن أربع سنين. والردُّ عليهم يكون بنفس الأداة التي يستخدمونها وهي المنطق؛ فالواقع العلمي يقول أن عمليات القلب باتت متعدِّدة، فمنها الإبدال بقلوب اصطناعية، ومنها زراعة القلب من شخص ميِّت لشخص حيٍّ، وعليه فإن عملية استئصال لُبٍّ ثم إرجاعه ثانية مُصدَّقٌ من باب أولى، وأن مسألة التخدير تكون لمن بهم عاملُ الحسِّ، وهذا يصدُق لعامة الناس، وإلا فالواقع دلَّ على وجود أناسٍ لا يشعرون بالألم، ولقد شاهدتُ بأُمِّ عيني طفلًا ألبسه أبوه أربطة خَلَقية بيديه حتى لا يأكل ما تبقى من أصابعه. وأما ما يخصُّ جانب التذكُّر في سِنِّ الرابعة، فواقع طفولتنا تُخبرنا بتذكُّر أشياء لم ننسها حتى المشيب في أقل من ذلك العمر.

كان ذلك الردُّ من باب تغليب منطق العقل، وإلا فثروة ديننا تكمن في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، وبعدها لا يحوي تدفُّق اليَمِّ نقنقة الضفادع. دمتم في محبة الرسول ﷺ».

رأْيٌ[١]

في ورقة بعنوان «العلمانية وعلاقة الدين بالدولة من منظور حركة النهضة» قدَّم زعيم حركة النهضة التونسية راشد الغنوشي رُؤًى وأفكارًا جريئة حول قضايا الديمقراطية والعلمانية والمواطنة والرِّدة، تضعه في تعارض كبير مع العديد من الجماعات المنضوية تحت تيار الإسلام السياسي بما فيها الجماعة الأم «الإخوان المسلمون».

تختلف التيارات المنضوية تحت لواء الإسلام السياسي حول قضية نظام الحكم وطريقة اختيار الحاكم، فمنها مَن يُنادي بتطبيق الشورىٰ كطريقة لاختيار الحاكم، ولكنها لا تملك تصوُّرًا واضحًا ومُفصلًّا للكيفية التي يتم بها تطبيق الشورىٰ، وهل هي مُلزِمة أم غير مُلزِمة؟ ومنها مَن يقول إن الديمقراطية كفرٌ صُراح، وبعضها يقبلها علىٰ مَضَض، ولكنه يقول إنها تتضمَّن معنًىٰ كُفريًّا.

إلا أن الغنوشي يُعلن انحيازه الكامل للديمقراطية نظامًا

(١) «حركة النهضة: آراء جريئة للغنوشي»، بابكر فيصل، مقال نُشِر علىٰ موقع «قناة الحرة» بتاريخ ٢٢/ ٤/ ٢٠٢٠م، تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٢١م علىٰ الرابط الآتي:
https://www.alhurra.com/different-angle/2020/04/22/حركة-النهضة-آراء-جريئة-للغنوشي-١

للحكم، والانتخابات وسيلة لاختيار الحاكم، ويقول: «غير أننا إذا احتجنا إلىٰ سَنِّ قانون في ظِلِّ هذا التعدُّد لا بُدَّ لنا من آلية، ولعل أفضل آلية توصَّل إليها البشر اليوم هي الآلية الديمقراطية والآلية الانتخابية التي تُفرِز ممثلين للأمة؛ بما يجعل الاجتهاد اليوم ليس اجتهادًا فرديًّا وإنما جماعيًّا يقوم به ممثلو الأمة المنتخَبون، وذلك في غياب كنيسة تُمثِّل المقدَّس فوق الأرض، وليس هناك من ناطق باسم القرآن والإرادة الإلهية. الإرادة الإلهية تَجلّيها الوحيد في الأمة التي تُعبِّر عن الإرادة الإلهية من خلال تدافعها وليس من خلال احتكار إمامٍ أو حزبٍ أو دولةٍ».

حديث الغنوشي أعلاه يتناقض مع آراء مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا حول الديمقراطية، حيث يقول الأخير: «ولو أخذنا بالحزم وأعلناها صريحة واضحة: أننا معشر أمم الإسلام لا شيوعيون ولا ديمقراطيون ولا شيء من هذا الذي يزعمون»، وحيث يصف الديمقراطية بأنها نظام تافه، بقوله: «هذه هي دعوتنا ليس لها منهاجٌ إلا الكتاب الكريم، ولا جنودٌ إلا أنتم، ولا زعيمٌ إلا رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فأين من نظامنا هذه النظم التافهة المتداعية؟ هذه الديمقراطية، والشيوعية، والديكتاتورية».

كذلك لا يؤمن البنا بالأحزاب السياسية، وهيٰ الأداة الأهم في النظام الديمقراطي، ويقول: «ويعتقد الإخوان كذلك أن هذه

الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم، وعطَّلت مصالحهم، وأتلفت أخلاقهم، ومزَّقت روابطهم، وكان لها في حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر، ويعتقدون كذلك أن النظام النيابي، بل حتى البرلماني، في غنًى عن نظام الأحزاب بصورتها الحاضرة في مصر وإلا لما قامت الحكومات الائتلافية في البلاد الديمقراطية، فالحجة القائلة بأن النظام البرلماني لا يُتصَوَّر إلا بوجود الأحزاب حجة واهية وكثير من البلاد الدستورية البرلمانية تسير على نظام الحزب الواحد وذلك في الإمكان».

أما حزب التحرير الإسلامي، وهو أحد أحزاب تيار الإسلام السياسي، فإنه يُحرِّم الديمقراطية ويقول إنها «نظام كفر» يتناقض تناقضًا تامًّا مع أحكام الإسلام، ويعتبر الدعوة إليها دعوة إلى أمر باطل، وقد أصدر الحزب كُتيِّبًا بعنوان: «الديمقراطية نظام كفر، يَحرُم أخذها أو تطبيقها أو الدعوة إليها».

يُؤكِّد الغنوشي في ورقته أن مهمة الدين لا تشمل تعليمنا طرائق الحكم ووسائله، بل يعطينا قيمًا أخلاقية تُوجِّه تفكيرنا، ويقول: «ليس من مهمة الدين تعليمنا أساليب الزراعة وأساليب الصناعة وحتى أساليب الحكم وكيف ندير الدولة لأن كل هذه تقنيات، والعقل مؤهَّلٌ فيها إلى أن يصل إلى الحقيقة من خلال تراكم التجارب. مهمة الدين أن يجيبنا عن القضايا الكبرى التي تتعلَّق بوجودنا، أصلنا، ومصيرنا والغاية التي خُلقنا لأجلها وأن

يعطينا نظام القِيَم والمبادئ التي يمكن أن تُمثِّل توجيهات لتفكيرنا وسلوكنا ولأنظمة الدولة التي نسعىٰ إليها».

حديث الغنوشي أعلاه يتعارض مع ما طرحه البنا حول علاقة الدين بالحكم، حيث رفع من شأن مطلب الحكم وجعله رُكنًا من أركان الإسلام، شأنه شأن الصلاة والصوم والحج، بحيث أضحىٰ التقصير في طلبه وعدم السعي لإقامته يمثل خروجًا علىٰ الدين نفسه.

يقول البنا: «فالإخوان المسلمون يسيرون في جميع خطواتهم وآمالهم وأعمالهم علىٰ هَدْيِ الإسلام الحنيف كما فهموه، وكما أبانوا عن فهمهم هذا في أول هذه الكلمة. وهذا الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة رُكنًا من أركانه، ويعتمد علىٰ التنفيذ كما يعتمد علىٰ الإرشاد، وقديمًا قال الخليفة الثالث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».

ينفي الشيخ الغنوشي أن تكون العلمانية فلسفة إلحادية كما تقول وتدَّعي بعض التيارات داخل معسكر الإسلام السياسي، ويؤكد أنها- أي العلمانية- ظهرت وتبلورت في الغرب كحلول إجرائية، وليست كفلسفة أو نظرية في الوجود، بقدر ما هي ترتيبات إجرائية لحلِّ إشكالات طُرِحَتْ في الوسط الأوروبي.

ويُؤكِّد الغنوشي أنه لا توجد صيغة واحدة ونهائية للعلمانية، بل إن تطبيقها يتغيَّر مع السياقات التاريخية والاجتماعية والسياسية

بين مختلف الدول، كما أنه لا يوجد تصوُّرٌ صحيح واحدٌ للإسلام وما عداه خطأ، فالتصوُّرات تختلف باختلاف الأفهام، ولذلك يمكننا الحديث عن أكثر من إسلام. يقول الشيخ الغنوشي: «نحن لسنا إزاء علمانية واحدة بل إزاء علمانيات، وكذا الإسلام أيضًا بحكم ما هو مطروح في الساحة نحن إزاء أكثر من إسلام واحدٍ أي أكثر من فهم».

وبينما يرفض الشيخ الغنوشي قبول العلمانية بمعنىٰ «فصل الدين عن الحياة»، فإنه يدعو للتمييز بين الدين والسياسة، ويقول بأن السبيل للوصول لمعادلة تضمن فيها حريات الناس وحقوقهم وهي المقاصد التي جاء من أجلها الدين هو «الرجوع إلىٰ موضوع التمييز بين الدين والسياسة، ونحتاج إلىٰ ضبط ما هي ثوابت الدين وما هي متغيراته»؟.

يقول الغنوشي إن الدولة منتوج بَشَريٌّ والدين تنزُّلٌ إلهيٌّ، وإن «الدين مداره الأساسي ليس أدوات الدولة، وإنما القناعات الشخصية، أما الدولة فمهمتها تقديم الخدمة للناس قبل كل شيء كمواطن الشغل والصحة الجيدة والمدرسة الجيدة، أما قلوبهم وتدينهم فأمرها لله».

يربط الشيخ الغنوشي نظرته لعلاقة الدين بالدولة بالمقاصد الكلية للدين ويقول: «إن المقصد الأسمىٰ لنزول الرسالات هو تحقيق العدل ومصالح الناس، هذه المصالح تتحقَّق من خلال

إعمال العقل في ضوء موجِّهات، مقاصد، مبادئ وقِيَم الدين. لذلك ظلَّ هنالك مجال للمعاملات يعرف تطورًا مستمرًّا ومنه نظام الدول وهذه تُمثِّل المتغيرات، بينما ما هو عقائدي وشعائري وما هو قِيَميٌّ أخلاقي يُمثِّل الثوابت».

وبينما تعترض العديد من التيارات داخل معسكر الإسلام السياسي على القبول بمبدأ المواطنة كأساس للحقوق والواجبات داخل الدولة، وتُطالب بأن تكون العقيدة هي مناط ذلك، فإن الغنوشي يعلن انحيازه الصريح لمبدأ المواطنة ويقول: «بما أن ثورتنا نجحت في الإطاحة بديكتاتور، ينبغي علينا أن نقبل مبدأ المواطنة، وأن هذه البلاد ليست مُلكًا لزيد أو لعمرو أو لهذا الحزب أو ذاك، ولكنها مُلْكٌ لكل مواطنيها، وهم جميعًا بغضِّ النظر عن معتقداتهم أو أجناسهم إن كانوا ذكورًا أو إناثًا، الإسلام يُمتِّعهم وأعطاهم الحق أن يكونوا مواطنين يتمتَّعون بنفس الحقوق، بأن يعتقدوا بما شاؤوا ضمن إطار احترامهم لبعضهم البعض، وأن يتصرَّفوا وفق القانون الذي هم يَسنُّونه عبر ممثليهم في البرلمان».

يُؤكِّد الشيخ الغنوشي أن الحرية «هي القيمة الأساسية التي يلج بها الإنسان دار الإسلام؛ فالناطق بالشهادتين يُعبِّر عن قرار اختياري وفردي يقوم عن وعي وبينة. ولذلك فالدولة منتسبة للإسلام بقدر ما تحرص على أن تتماثل بقِيَمِه دون وصاية من مؤسسة دينية، لأنه ليس هناك مثل هذه المؤسسة في الإسلام، بل

هناك شعبٌ وأمةٌ يُقرِّران لنفسهما عبر مؤسساتهما ما هو الدين، فأعظم قيمة في الإسلام هي قيمة الحرية».

بناءً على ذلك فإن الغنوشي- خلافًا لما تقول به العديد من تيارات الإسلام السياسي- يدعو لحرية الاعتقاد، وأن يكون من حقِّ الإنسان دخول الإسلام أو الخروج منه بحرية ودون أن يتعرَّض لما يُعرف بعقوبة الرِّدة، وفي هذا الإطار يقول الشيخ الغنوشي: «ولذلك أنا عارضتُ كل سبيلٍ لإكراه الناس على أيِّ أمرٍ، وطرحتُ موضوعًا شائكًا في بعض المواطن وهو ما يُسمى بالرِّدة؛ بمعنى أن مهمة الدولة أن تُحِدَّ من حرية الناس في الاعتقاد. إذا كان مبدأ لا إكراه في الدين متَّفقًا عليه فقد دافعتُ عن مبدأ الحرية في الاتجاهين: حرية الولوج في الدين ومغادرته لأنه لا معنى لتديُّن يقوم على الإكراه، لا حاجة للأمة الإسلامية بمنافق يُبطن الكفر ويُظهر الإيمان والإسلام لأنه لم يَتعزَّز صفها بإضافة من هذا القبيل».

زادُ طالبِ العلمِ[١]

إن الله تعالىٰ خلق الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، فتنافس في ذلك المتنافسون، واجتهد فيه المجتهدون، والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]، وأحقُّ الناس بالاجتهاد في طلب الأخرىٰ والزهد في الدنيا؛ هم طلبة العلم.

العلم والعمل توأمان

العلم والعمل توأمان، أُمُّهما عُلُوُّ الهمة، قال الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال سبحانه: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد:٢١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:١٠-١١]، قال عبد

(١) «الهمة في طلب العلم»، محمد بن سليمان الواصل، مقال نُشِر علىٰ موقع «جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية» بتاريخ ٢٩/ ٤/ ١٤٤٠هـ، تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٢١م علىٰ الرابط الآتي:
https://units.imamu.edu.sa/shis/malaz-inst/EduArticles/Pages/29-4-1440-m.aspx

الرحمن السعدي[١]: «أي: السابقون في الدنيا إلىٰ الخيرات، هم السابقون في الآخرة لدخول الجنات. أولئك الذين هذا وصفهم، المقربون عند الله، في جنات النعيم، في أعلىٰ عليين، في المنازل العاليات، التي لا منزلة فوقها».

معالي الأمور

صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا))[٢]. يقول ابن القيِّم[٣]: «وعُلُوُّ الهمة أن لا تقف [أي: النفس] دون الله، ولا تتعوَّض عنه بشيء سواه، ولا ترضىٰ بغيره بدلًا منه، ولا تبيع حظها من الله وقربه والأنس به، والفرح والسرور والابتهاج له، بشيء من الحظوظ الخسيسة الفانية؛ فالهمة العالية علىٰ الهِمَم: كالطائر العالي علىٰ الطيور، لا يرضىٰ بمساقطهم، ولا تصل إليه الآفات التي تصل إليهم، فإن الهمة كلَّما عَلَتْ بَعُدَتْ عن وصول الآفات إليها»، ومن علامة كمال العقل عُلُوُّ الهمة، والراضي بالدون دنيء.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٨٣٣.
(٢) مسند الشهاب (حديث رقم: ١٠٧٦، ج ٢، ص ١٥٠) من حديث الحسين بن علي رضي الله عنه.
(٣) مدارج السالكين، ابن القيِّم، ج ٣، ص ١٦٣.

أسلافنا وعُلُوُّ الهمة

ضرب لنا أسلافنا أروع الأمثلة في عُلُوِّ همتهم في طلب العلم؛ فهذا معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة، وتوفي وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة، عاش في الإسلام عشر سنوات فقط، ويقول عنه رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الْعُلَمَاءَ إِذَا حَضَرُوا رَبَّهُمْ عَزَّوَجَلَّ كَانَ مُعَاذُ بْنَ أَيْدِيهِمْ رَتْوَةً بِحَجَرٍ [أي: رمية بحجر]))[1]. وهذا عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حَبْرُ الأمة، وتُرجمان القرآن يقول: ((لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا فُلَانُ هَلُمَّ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّهُمُ الْيَوْمَ كَثِيرٌ. فَقَالَ: واعجبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَتَرَىٰ النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ، وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ تَرَىٰ؟ فَتَرَكَ ذَلِكَ، وَأَقْبَلْتُ عَلَىٰ الْمَسْأَلَةِ، فَإِنْ كَانَ لَيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِيهِ، وَهُوَ قَائِلٌ [من القيلولة]، فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَىٰ بَابِهِ، فَتَسْفِي الرِّيحُ عَلَىٰ وَجْهِي التُّرَابَ، فَيَخْرُجُ، فَيَرَانِي، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلَا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتِيَكَ؟ فَأَقُولُ: لَا، أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَكَ. فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ. قَالَ: فَبَقِيَ الرَّجُلُ حَتَّىٰ رَآنِي، وَقَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيَّ، فَقَالَ: «كَانَ هَذَا الْفَتَىٰ أَعْقَلَ مِنِّي»))[2].

---

(١) حلية الأولياء، الأصفهاني، ج ١، ص ٢٢٨.

(٢) سنن الدارمي (حديث رقم ٥٩٠، ج ١، ص ٤٦٧).

شعار طالب العلم

شعار طالب العلم قول الله ﷻ: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]، فالعاقل صابر للشدائد لعلمه بقرب الفرج، والجاهل علىٰ الضِّدِّ من ذلك.

وإذا كانتِ النُّفُوسُ كِبَارًا تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الأَجْسَامُ

وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه هذا الكُنيِّف الوعاء الذي مُلئ علمًا، يقول: ((وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، «لَقَدْ قَرَأْتُ مِنْ فِيِّ [أي: فَمِ] رَسُولِ اللهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي تُبَلِّغُنِي الْإِبِلُ إِلَيْهِ لَأَتَيْتُهُ))[1]، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا [أي: ساقيه] أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ))[2].

عُلُوُّ الهمة رايةُ الجِدِّ

يا طالب العلم عُلُوُّ الهمَّة رايةُ الجِدِّ، وبَذْرُ النِّعَمِ، وإذا طلب رجلان أمرًا ظفر به أعظمهما مروءةً، ومن ترك التماس المعالي بسوء الرجاء لم ينل عظيمًا، وقد قيل لبعض الحكماء: «من أسوأ

(١) الرحلة في طلب الحديث، البغدادي، ص ٩٤.

(٢) مسند الإمام أحمد (حديث رقم: ٣٩٩١، ج ٧، ص ٩٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الناس حالًا؟» قال: «مَن بَعُدتْ هِمَّتُهُ، واتَّسعَتْ أُمْنِيَّتُهُ، وَقَصُرَتْ آلَتُهُ، وقَلَّتْ مَقْدِرَتُهُ»[١].

وقد قيل:

إني رأيتُ وُقُوفَ الماءِ يُفْسِدُهُ ... إن سَاحَ طَابَ وَإن لَم يَجْرِ لَم يَطِبِ

والأُسْدُ لولا فراقُ الأرضِ ما افْتَرَسَتْ ... والسَّهْمُ لولا فِراقُ القَوْسِ لم يُصِبِ

والشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ في الفُلْكِ دَائمةً ... لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ

روىٰ الخطيب البغدادي في كتابه الماتع «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»[٢]: «كَانَ رَجُلٌ يَطْلُبُ الْعِلْمَ فَلاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَعَزَمَ عَلَىٰ تَرْكِهِ فَمَرَّ بِمَاءٍ يَنْحَدِرُ مِنْ رَأْسِ جَبَلٍ عَلَىٰ صَخْرَةٍ قَدْ أَثَّرَ الْمَاءُ فِيهَا فَقَالَ: الْمَاءُ عَلَىٰ لَطَافَتِهِ قَدْ أَثَّرَ فِي صَخْرَةٍ عَلَىٰ كَثَافَتِهَا وَاللهِ لَأَطْلُبَنَّ الْعِلْمَ فَطَلَبَ فَأَدْرَكَ».

وَلَمْ أَرَ في عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا ... كَنَقْصِ القَادِرِينَ علىٰ التَّمَامِ

ودَّ الشيطان أن يظفر منك بكبوة؛ ليُجلب عليك بخَيْلِهِ ورَجْلِهِ، فكُن رجلًا رِجْلُه في الثرىٰ، وهامةُ هِمَّته في الثُّرَيَّا. لقد بدأ الحافظ ابن منده رحلته في طلب العلم وهو ابن عشرين سنة، ورجع وهو ابن خمس وستين سنة، وقال: «طُفْتُ الشَّرقَ والغربَ مرتين».

لا تَحْسَبَنَّ المَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ المَجْدَ حَتَّىٰ تَلْعَقَ الصَّبْرا

(١) أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص ٣٢٧.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، البغدادي، ج ٢، ص ١٧٩.

كلمات خالدة

قيل للشافعي: «كيف شهوتُك للعلم؟» قال: «أسمع بالحرف [أي الكلمة] مما لم أسمعه من قبل فتودُّ أعضائي أنَّ لها سمعًا تتنعم به مثل ما تنعَّمتْ به الأذنان». فقيل له: «كيف حرصك عليه؟» قال: «حرص الجَموع المَنوع في بلوغ لذته للمال». قيل: «كيف طلبك له؟» قال: «طلب المرأة المُضِلَّة ولدها ليس لها غيره».

وقيل لابن المبارك: «إلىٰ متىٰ تكتب العلم؟» قال: «لعلَّ الكلمة التي أنتفع بها لم أكتبها بعد».

وقال يحيىٰ بن كثير: «لا يُستطاع العلم براحة الجسم».

وقال الجُنَيْد: «ما طلب أحدٌ شيئًا بجدٍّ وصدقٍ إلا ناله، فإن لم ينله كلَّه نال بعضه».

وقال خلف بن هشام البزَّار: «أَشْكَلَ عليَّ بابٌ من النحو، فأنفقتُ ثمانين ألف درهم حتىٰ حذقته».

وقال الشافعي: «حقٌّ علىٰ طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من العلم، والصبر علىٰ كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله في إدراك علمه نصًّا واستنباطًا، والرغبة إلىٰ الله ﷻ في العون عليه».

وقيل للشعبي: «من أين لك هذا العلم كله؟» قال: «بنفي

الاعتماد، والسَّيْر في البلاد، وصبرٍ كصبر الجماد، وبُكُور كبُكُور الغراب».

وقال ابن الجوزي: «مَن أنفق عصر الشباب في العلم، فإنه في زمن الشيخوخة يحمد جَنْي ما غرس، ويَلْتذُّ بتصنيف ما جمع، ولا يرىٰ ما يفقد من لذَّات البدن شيئًا، بالإضافة إلىٰ ما يناله من لذَّات العلم، هذا مع وجود لذَّاته في الطلب الذي كان تأمَّل به إدراك المطلوب».

وقال ابن تيمية: «إنما تُنال الإمامة في الدين بالصبر واليقين».

وقال ابن قدامة المقدسي: «وينبغي لطالب العلم قطع العلائق الشاغلة، فإن الفكرة متىٰ توزَّعت قصُرت عن إدراك الحقائق، وقد كان السلف يُؤثرون العلم علىٰ كل شيء».

وسُئل سهل بن عبد الله التستري: «إلىٰ متىٰ يطلب الرجل الحديث؟» قال: «حتىٰ يموتَ، ويُصَبَّ باقي حِبْره في قبره».

وقال أبو موسىٰ بن الحافظ عبد الغني المقدسي عند موته: «لا تُضيِّعوا هذا العلم الذي قد تعبنا عليه».

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «رحلتُ في طلب العلم والسُّنَّة إلىٰ الثغور والشامات والسواحل والمغرب والجزائر ومكة والمدينة والحجاز واليمن والعِراقَيْن جميعًا وفارس وخراسان والجبال والأطراف، ثم عدتُ إلىٰ بغداد، وخرجتُ إلىٰ الكوفة

فكنتُ في بيتٍ تحت رأسي لبنة وسادة فحمَمْتُ، فرجعتُ إلىٰ أمي ولم أكن استأذنتها، ولو كان عندي تسعون درهمًا كنتُ رحلتُ إلىٰ جرير بن عبد الحميد في الريِّ، وخرج بعض أصحابنا ولم يمكنني الخروج لأنه لم يكن عندي شيء».

وقال ابن الجوزي: «طاف الإمام أحمد بن حنبل الدنيا مرتين حتىٰ جمع المسند».

وقال الإمام الشافعي:

أَخي لَن تَنالَ العِلمَ إِلّا بِستَّةٍ ... سَأُنبيكَ عَن تَفصيلِها بِبَيانِ
ذَكاءٌ وَحِرصٌ وَاجتِهادٌ وَبُلغَةٌ ... وَصُحبَةُ أُستاذٍ وَطُولُ زَمانِ

عجائبُ وغرائبُ[١]

عندما يصل الإنسان إلىٰ خاتمة المطاف في حياته، وتصعد روحه إلىٰ بارئها فيسكن الجسد للأبد، ويتحوَّل إلىٰ جثة هامدة، عندئذٍ لا يمكن لهذا الجسد أن يقوم من جديد، أو حتىٰ يتحرَّك من مكانه أو يرمش له جفن لأننا ندرك أن كل شيء قد انتهىٰ.

ولكن كيف يكون إحساسك عندما تفاجأ بعودة ميِّت من ذويك أو أصدقائك إلىٰ الحياة، فترىٰ ذلك الجسد الميِّت وهو يدفع بنفسه ليفتح درج ثلاجة المشرحة أو يحاول تمزيق الكفن ليخرج منه؟

عادت له الحياة أثناء تغسيله

ذات صباح من شهر آذار/ مارس عام ٢٠٠٨م وصلت سيارة إسعاف تابعة للمشفىٰ الوطني في حمص إلىٰ قرية من قراها، وهي تنقل جُثَّة أحد المتوفين من المشفىٰ إلىٰ منزل أهله، والجثة تعود

(١) «قصص واقعية أغرب من الخيال: أحياء في ثلاجات الموتىٰ»، وَعْد الأحمد، نُشِر علىٰ موقع «وطن خارج السِّرب» بتاريخ ٢٨/ ١١/ ٢٠١٥م، تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٢١م علىٰ الرابط الآتي:
https://www.watanserb.com/2015/11/28/قصص-واقعية-أغرب-من-الخيال-أحياء-في-ثلا/

إلىٰ رجل في منتصف العقد الخامس من عمره قضىٰ بالسكتة القلبية أثناء محاولة إنعاشه في غرفة العناية المركزة في المشفىٰ المذكور، قبل ساعات قليلة من إجراء عملية توسيع شرايين له، وبدأ ذوو المتوفىٰ إجراء مراسم العزاء من تحضير للجنازة وحفر للقبر، ووُضِعت الجثة علىٰ طاولة التابوت لتغسيلها، وتحت تأثير الماء الساخن انتفض جسد المتوفىٰ، وفتح عينيه، وهبَّ مذعورًا مما يجري حوله، فأصابت الموجودين حول الجثة حالة من الذهول والذعر أيضًا، فما يجري أمامهم أمرٌ لا يصدقه العقل.

متوفٍ يُزيل القماش ويُخرِج رأسه من التابوت

وثمة قصة واقعية أخرىٰ مشابهة بطلها مواطن يدعىٰ (أبو عبدو الحولاني- ٦٢ عامًا)، كان يتناول طعام الغداء في منزله بين زوجته وأبنائه، فأصابته نوبة قلبية، فتم إسعافه إلىٰ المشفىٰ الوطني بحمص، وهناك أُدخِل إلىٰ غرفة العناية المشدَّدة، وظل لمدة يومين تحت المراقبة الشديدة، حتىٰ أعلن الأطباء عن وفاته، فأخذ أهله يُجهزون ترتيبات الجنازة، وبعد غسله وتكفينه خرجوا به مع المشيِّعين إلىٰ المقبرة مشيًا علىٰ الأقدام، وقبل أن يصلوا إلىٰ المقبرة عاد الميِّت «المفترض» إلىٰ الحياة، ووجد نفسه- كما روىٰ لمن حوله بعد ذلك- مُغطًّىٰ بقماش أملس، ومربوطًا من رأسه وقدميه، وبصعوبة استطاع أن يزيل القماش، ويُخرِج رأسه

من التابوت، فأصاب المشيِّعين ذهولٌ شديد، وأوشكوا أن يُلقوا بالتابوت ليفرُّوا بعيدًا عنه، ولكن أبناء الميِّت «العائد» تداركوا الأمر، وقاموا بلفِّ والدهم العاري بثيابهم الخارجية، وعادوا به إلىٰ المنزل، وتحوَّلت صرخات البكاء والعويل إلىٰ استغراب ودهشة ثم إلىٰ زغاريد، وأصبحت قصة أبو عبدو كما يقول ابنه عبد الكريم الحولاني حديث الناس لسنوات في قرية تلدو- غرب حمص-، قبل أن يُتوفىٰ والده مرة ثانية بالنوبة القلبية، ولكن هذه المرة إلىٰ غير عودة.

عادت له الحياة بعد ثلاثة عشر ساعة في ثلاجة الموتى

أما فواز العلي (٢٩ عامًا) فقد تعرَّض لحادث مروري مروِّع، وأُعلِن عن وفاته، ثم أُودِع في ثلاجة المشفىٰ الوطني في حمص في انتظار تصريح الدفن، وكانت المفاجأة المذهلة عودته للحياة بعد ١٣ ساعة في ثلاجة الموتىٰ، ويروي الشاب العائد من الموت ما حصل معه قائلًا: «عندما فتحتُ عينيَّ وجدتُ نفسي داخل صندوق بارد، فظننتُ أنني أفقتُ لأُحاسَب يوم القيامة، وأزحتُ غطاء التابوت لأجد نفسي في ثلاجة كبيرة مع عدد آخر من الصناديق».

ويضيف: «لم أُصدِّق نفسي بدايةً، فبدأتُ أتحسَّسُ جسدي وقدميَّ وعينيَّ لأتأكد أنني ما زلتُ علىٰ قيد الحياة، وحاولتُ

أن أستغيث وأفتح باب الثلاجة ففشلتُ، وأخذتُ أطوف علىٰ الصناديق المحيطة بي وأقرأ أسماء الموتىٰ داخلها، حتىٰ سمعتُ صرير الباب الحديدي، وعندما التفتُ خلفي كان عامل المشرحة في وضع لا يُحسد عليه؛ إذ فرَّ هاربًا إلىٰ الخارج عندما فوجئ بي أقف أمامه حيًّا أُرزق».

التفسير الطبي لظاهرة الموت الكاذب

يُسمي الأطباء ظاهرة الموت المؤقت بالموت الكاذب أو الغيبوبة العميقة، وكثيرًا ما نسمع أخبارًا عن أناس أعتقد ذووهم أنهم أموات فدفنوهم، ثم تبيَّن بعد فتح القبر ثانية أو من بعض الأصوات الصادرة عن القبر أن المدفونين لم يكونوا أمواتًا، وبعضهم خرج من تابوته ليموت مرة ثانية من الرعب، أما الذين حالفهم الحظ فقد استيقظوا قبل فوات الأوان، أي عند وضعهم في برادات المستشفيات، أو قبل دفنهم بلحظات.

تُشير الإحصائيات العالمية التي تُنشَر بين الفينة والأخرىٰ إلىٰ أنَّ حالات الموت المؤقت ممكنة الحدوث وليست ضربًا من الخيال، ففي بلد متطوِّر طبيًّا مثل الولايات المتحدة الأمريكية مثلًا يُدفَن شخصٌ واحدٌ حيٌّ خطأً في كل أربع وعشرين ساعة، ولا تقلُّ النسبة كثيرًا عنها في بريطانيا؛ إذ أكَّدت الجمعية الخيرية بلندن أنها أعادت للحياة خلال ٢٢ عامًا ٢١٧٥ شخصًا دُفنوا بالخطأ،

أي أن موتهم كان ظاهريًّا، وفي هامبورغ أنقذت جمعية مماثلة ١٠٧ أشخاص في أقلِّ من خمس سنوات!!

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: إذا كانت هذه الإحصائيات خاصة بمَن أمكن إنقاذهم في اللحظات الأخيرة في تلك الدول المتقدِّمة، فماذا عن الذين لم تُكتشف حالاتهم، ودفعوا حياتهم ثمنًا قبل أن ينتهي أجلهم فعليًّا؟!

شُؤُونٌ صِحِّيَّةٌ

(أعراض قلَّة النوم[١])

يعاني الكثيرون من صعوبة النوم ليلًا، وتتسبَّب قلَّة النوم في أضرار صحية عديدة؛ وذلك لأن أعضاء الجسم لا تحصل علىٰ حاجتها من الراحة؛ إذ يحتاج الشخص البالغ من ٧ إلىٰ ٩ ساعات نوم حتىٰ يتمكَّن من ممارسة الأنشطة اليومية بصورة طبيعية، وفي حالة استمرار قلَّة النوم فيمكن ملاحظة مجموعة من الأعراض، منها:

١- الشعور بالتعب

من أبرز أعراض قلة النوم علىٰ الشخص عندما لا يحصل علىٰ القسط الجيد من النوم، أنه سيشعر بالتعب والألم في مختلف أنحاء الجسم، كما يزداد الشعور بالصداع، ويمكن أن يشعر بآلام في العظام والمفاصل، وبالتالي يميل إلىٰ الكسل والخمول.

---

(١) «أعراض قلة النوم»، ياسمين ياسين، نُشِر علىٰ موقع «ويب طب» بتاريخ ٣٠/ ١١/ ٢٠٢٠م، تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٢١م علىٰ الرابط الآتي:
https://www.webteb.com/articles/٢٣٤٠٠_أعراض-قلة-النوم

٢- كثرة التثاؤب والنعاس

لعلَّ من أشهر أعراض قلة النوم كثرة التثاؤب والنعاس؛ إذ تؤدي قلة النوم إلىٰ الشعور بالتعب الشديد، مما يؤدي إلىٰ كثرة التثاؤب وصعوبة السيطرة علىٰ الرغبة في النوم، ويميل الشخص إلىٰ النعاس، وقد يغفو رغمًا عن إرادته في حالة الحرمان الشديد من النوم.

٣- الميل إلى الاكتئاب

تُؤدِّي قلة النوم إلىٰ الدخول في حالة من الحزن والضِّيق، ويميل الشخص إلىٰ الاكتئاب، ويكون سريع الغضب والانفعال، كما قد يُؤدِّي الاكتئاب إلىٰ زيادة صعوبة النوم، ويعود هذا إلىٰ ارتفاع مستويات هرمون الكورتيزول في الجسم، وهو هرمون الإجهاد، والذي يزيد من الشعور بالتوتُّر والقلق.

٤- انخفاض القدرات العقلية

يحتاج الدماغ إلىٰ الراحة حتىٰ يتمكن من القيام بوظائفه، وفي حالة عدم حصول الجسم علىٰ الراحة التي يحتاجها فسوف يُؤثِّر ذلك علىٰ القدرات العقلية، مما يعني صعوبة في الفهم والاستيعاب، وعدم القدرة علىٰ اتخاذ القرارات، وقلة التركيز

والانتباه، كما أنه يُؤثِّر على الذاكرة، وبالتالي يمكن القول بأن ضعف الأداء الوظيفي قد تكون قلَّة النوم إحدى مسبِّباته.

٥- زيادة الشهية

هناك ارتباط وثيق بين قلة النوم وزيادة الرغبة في تناول الطعام؛ فقلَّة النوم يمكن أن تُسبِّب اضطرابات لهرمونات الجسم، ومنها هرمونات الشبع والجوع، ومع انخفاض عدد ساعات النوم عن ٦ ساعات، سوف ترتفع مستويات هرمون الغريلين وهو هرمون الجوع، وتنخفض مستويات هرمون اللبتين وهو هرمون الشبع، وتزداد الرغبة في تناول الأطعمة الغنية بالدهون والكربوهيدرات.

٦- انخفاض الرغبة الجنسية

أيضًا تؤثر قلة النوم على الرغبة الجنسية؛ فهي تسبب اضطرابات في الهرمونات المتعلِّقة بذلك، كما يمكن أن تؤثر على القدرة الجنسية لدى الرجل؛ إذ إن الجسم يستنزف كامل طاقته، ويزداد الشعور بالتوتُّر، وهو ما يُسبِّب مشاكل الصحة الجنسية.

٧- ظهور علامات الإجهاد على البشرة

عادةً ما يعاني الأشخاص الذين لا يحصلون علىٰ نوم جيِّد من البشرة الشاحبة والعيون المنتفخة، وذلك بعد بضع ليالٍ من اضطرابات النوم، كما يمكن أن تتسبب قلة النوم في زيادة ظهور الخطوط الدقيقة في الوجه والهالات السوداء أسفل العين، فعندما لا يحصل الجسم علىٰ قسط كافٍ من النوم يقوم الجسم بإطلاق المزيد من هرمون الكورتيزول، وتتسبب زيادة هذا الهرمون في إلحاق ضرر ببروتين الكولاجين الذي يحافظ علىٰ صحة البشرة ومرونتها، كما أن قلة النوم تُؤدِّي إلىٰ انخفاض إفراز هرمون النمو البشري الهام للحفاظ علىٰ صحة الجلد وتقوية العظام.

٨- كثرة الإصابة بالأمراض

من أهم أعراض قلة النوم زيادة فرصة الإصابة بالأمراض؛ إذ يقوم جهاز المناعة بإنتاج مواد تحمي الجسم من العدوىٰ، مثل: السيتوكينات، والأجسام المضادة، ومع انخفاض معدَّلات النوم ينخفض إنتاج هذه المواد في الجسم، مما يُؤدِّي إلىٰ زيادة فرص الإصابة بالأمراض نتيجة لعدم قدرة الجهاز المناعي علىٰ محاربتها، كما يمكن أن تحتاج عملية التعافي لوقت أطول.

نصائح للحصول على نومٍ أفضل

لتقليل أعراض قلة النوم علىٰ الجسم لا بُدَّ من اتباع بعض النصائح التي قد تساعد في نومٍ أفضل، وتشمل ما يأتي:

- ✓ انتبه لطبيعة الطعام والشراب الذي تتناوله خلال النهار، ويفضل عدم شرب أو تناول أطعمة تزيد الشعور بالاستيقاظ في وقت متأخِّر من النهار كالتي تحتوي علىٰ الكافين.
- ✓ اصنع للنوم جوًّا مُريحًا وهادئًا بعيدًا عن الضوضاء.
- ✓ قلِّل وقت القيلولة التي تأخذها خلال النهار.
- ✓ مارس تمارين ونشاطات بدنية خلال النهار.
- ✓ سيطر علىٰ مشاعر التوتُّر والقلق لديك.

التاريخُ والسِّيَرُ

(آخر من حكم اليمن قبل البعثة النبوية[١])

عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس الغساني الأزدي

مـن كهـلان، أحـد بطـون الأزد، يُلقَّـب «مزيقيـاء والملطـوم»، ملـك جاهلـي يمـاني مـن التابعـة (أي قـوم تُبَّـع)، ملـك مـأرب، وكان لـه تحـت سـدِّ مـأرب مـن الحدائـق مـا لا يُحـاط بـه، وكانـت الجاريـة تمشـي مـن بيتهـا وعلـىٰ رأسـها مكتـل فيمتلـئ فاكهـة مـن غيـر أن تمـس شـيئًا منهـا، وهـو الـذي وقـع سـيل العـرم في عهـده، ويُذكَـر أنـه رأىٰ جـرذًا يحفـر في سـدِّ مـأرب، ففسَّـره بقـرب انهيـار السـدِّ، وعـزم هـو وأبنـاؤه علـىٰ الرحيـل مـن اليمـن، فخـرج منهـا وصحبـه الأزد وتفرقـوا في البلـدان؛ فنـزل آل جفنـة بـن عمـرو بـن عامـر الشـام، ونـزل الأوس والخـزرج (آل ثعلبـة بـن عمـرو بـن عامـر) يثـرب، وتفـرق الأزد في السـراة وعمـان.

تبان أسعد أبو كرب

يعـرف بتُبَّـع الثاني (وتُبَّـع لقـب لملـوك مملكـة حِمْيَـر)، وقيـل بأنـه كان يُلقَّـب بأسـعد الكامـل، وهـو أحـد ملـوك مملكـة حِمْيَـر وأطولهـم

(١) تم جمع هذه المادة من مصادر عدة.

عُمْرًا؛ فقد تولىٰ الحكم في ٣٧٨م حتىٰ وفاته عام ٤٣٠م تقريبًا، وقد قدم إلىٰ يثرب لنجدة الأوس والخزرج الذين استغاثوا به لنجدتهم من يهود يثرب، وبعد أن قُتِل ابنه فيها غيلة، عزم علىٰ إحراق يثرب وقتل أهلها، وبعدما استمرت الحرب فترة نصحه راهبان (يُقال بأن اسمهما شق وسطيح) بترك يثرب لأنها مُهَاجَرُ نبي، فاقتنع بكلامهما وترك يثرب، واصطحب الراهبان معه إلىٰ اليمن، ولذلك فهو مَن أدخل اليهودية إلىٰ اليمن، وفي طريقهم مروا علىٰ مكة المكرمة، فقام تبان أسعد بكسوة الكعبة المشرَّفة، فكان أول مَن سنَّ كسوتها.

ربيعة بن نصر بن حارثة بن عمرو بن عامر

كان من ضعاف ملوك التبابعة، ورأىٰ رؤيا هالته، فلم يَدَعْ كاهنًا ولا ساحرًا ولا عائفًا ولا منجِّمًا من أهل مملكته إلا جمعه إليه ليُفسِّرها له، ففسَّرها له الكاهنان سطيح وشق علىٰ أن الحبشة سيملكون اليمن بعد حوالي سبعين سنة، وأن ملكهم سيدوم إلىٰ وقت ظهور نبي من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النظر، فخاف علىٰ أهله وأخذهم إلىٰ العراق، وراسل سابور ملك فارس فأسكنهم الحيرة، وربيعة هو أحد جدود النعمان بن المنذر ملك الحيرة.

حسَّان بن تبان أسعد أبي كرب

مَلَكَ اليمن بعد وفاة ربيعة بن نصر، فسار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم، حتىٰ إذا كانوا ببعض أرض العراق كرهتْ حِمْيَر وقبائل اليمن المسير معه، وأرادوا الرجعة إلىٰ بلادهم وأهلهم، فكلَّموا أخًا له يقال له عمرو، وكان معه في جيشه، فقالوا له: اقتل أخاك حسَّان، ونُملِّكُك علينا، وترجع بنا إلىٰ بلادنا، فأجابهم إلىٰ ذلك، وقتل أخاه.

عمرو بن تبان أسعد أبي كرب

عندما أرادت حِمْيَر وقبائل اليمن من عمرو بن تبان أسعد أن يقتل أخاه حسَّان، ووافقهم علىٰ ذلك، اجتمعوا علىٰ ما أرادوا إلا رجل يقال له ذو رعين الحِمْيَري فإنه أعطىٰ كتابًا لعمرو، وطلب منه أن يضعه عنده، ولما قتل عمروٌ أخاه وعادوا إلىٰ اليمن، أصيب عمرو بالسَّهَر، وفارقه النوم، فأخبره الكُهَّانُ والعَرَّافون بأنه بسبب قتله لأخيه، فأمر بقتل كل مَن أشار عليه بقتل أخيه، فلما وصل إلىٰ ذي رعين وأراد قتله، قال له ذو رعين: «إن لي عندك براءة»، قال: «وما هي؟» قال: «الكتاب الذي دفعتُه إليك»، فأخرجه عمرو، فإذا فيه البيتان التاليان:

أَلا مَنْ يَشْتَري سَهَرًا بِنَوْمٍ سَعِيدٌ مَنْ يَبِيتَ قَرِيرَ عَيْنِ

فَأَمَّا حِمْيَرٌ غَدَرَتْ وخَانَتْ فَمَعْذِرَةُ الإلهِ لِذِي رَعِينِ

فلما قرأهما عمرو، ترك ذا رعين، وعرف أنه قد نصحه، واستمرَّ في حكمه إلىٰ أن مات، ومدة ملكه ٦٣ سنة، وكان معاصرًا لعمرو بن حجر الكندي جدِّ الشاعر امرئ القيس، وبعد موت عمرو هَرَجَ أمرُ حِمْيَر وتفرَّقوا.

لخنيعة ينوف ذو شناتر

بعد موت عمرو بن تبان أسعد، وثب علىٰ حِمْيَر رجلٌ منهم، ولكنه لم يكن من بيوت المُلْك، وكان مع ذلك امرأً فاسقًا يعمل عمل قوم لوط، فكان يرسل إلىٰ الغلام من أبناء الملوك، فيقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك لكي لا يُفكِّر في المُلْك، وبقي علىٰ تلك الحال لسبعٍ وعشرين سنة، وذات مرة بعث إلىٰ ذي نواس بن تبان أسعد أخي حسان، وكان صبيًّا صغيرًا حين قُتِل أخوه حسان، ثم شبَّ غلامًا جميلًا وسيمًا ذا هيئة وعقل، فلما أتاه رسوله، عرف ما يريد منه، فأخذ سكينًا، وخبَّأه بين قدميه ونعله ثم أتاه، فلما خلا لخنيعة بذي نواس، وأراد أن يثِبَ إليه، وثب ذو نواس عليه ووجأَ بطنه، ثم حزَّ رأسه، ولما علم الناس بذلك قالوا: «ما ينبغي أن يملكنا غيرك؛ إذ أرحتنا من هذا الخبيث».

ذو نواس زرعة بن تبان أسعد (٤٦٨م - ٥٢٧م)

بعد أن قتل لخنيعة ذا الشناتر، نصَّبه أهل اليمن ملِكًا عليهم، وكان لا يزال غلامًا، وتسمَّىٰ بيوسف، وهو صاحب الأخدود؛ إذ كان أهل نجران علىٰ النصرانية، فسار إليهم ذو نواس بنفسه، وحفر أخاديد في الأرض، وملأها نارًا، فمَن تبعه علىٰ ديانته اليهودية تركه، ومن أقام علىٰ النصرانية قذفه فيها، كما قصَّ ذلك علينا المولىٰ سبحانه في سورة البروج، فقال: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج:٤-٩].

لما حدث لأهل نجران ما حدث، ذهب شخصٌ منهم يقال له ذو ثعلبان إلىٰ قيصر الروم يطلب منه النجدة، فاعتذر قيصر لبُعد المسافة، ولكنه زوَّده برسالة إلىٰ ملك الحبشة- وكان أيضًا علىٰ النصرانية-، فأمدَّه ملك الحبشة بجيش قوامه سبعين ألفًا، يقوده رجل يقال له أرياط، فهزم ذا نواس، وركب ذو نواس البحر مع كثيرٍ من أصحابه فرارًا من جيش الحبشة، فغرقوا جميعًا في البحر، وكان مُلْك ذي نواس قد دام ثمانية وثلاثين سنة.

أرياط

كان القائدَ لجيش الحبشة الذي غزا اليمن، وتولىٰ حكم اليمن لعدة سنوات بعد أن قتل ذا نواس، ولكن بعض أتباعه ثاروا عليه لعدم عدالته.

أبرهة الأشرم

كان من جند أرياط، فصارت بينهما خلافات، فانقسم الجند بينهما، ثم تبارزا، فشرم أرياط حاجبَ أبرهة وأنفه وشفته بحربة، فسُمِّيَ بالأشرم، ثم رمىٰ غلامٌ لأبرهة أرياطَ بحربة فقتله، فتولىٰ أبرهة مُلْك اليمن، وهو الذي بنىٰ كنيسة القليس في اليمن ليصرف حجَّ العرب إليها، ولكن العرب- لتعظيمهم للبيت الحرام- دنَّسوا القليس، فاغتاظ أبرهة، وتوجَّه في عام ٥٧٠م بجيشٍ عرمرم لهدم الكعبة، ولكن الله حمىٰ بيته وحرمه الطاهر، وسلَّط علىٰ أبرهة وجنده الطيرَ الأبابيل فأهلكتهم، كما قصَّ ذلك علينا في سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل:١-٥].

يكسوم بن أبرهة

تولىٰ حكم اليمن بعد موت أبيه.

مسروق بن أبرهة

تولىٰ حكم اليمن بعد موت أخيه يكسوم، ولما طال بلاء الحبشة علىٰ أهل اليمن، قدِم سيف بن ذي يزن الحِمْيَري علىٰ قيصر ملك الروم، فشكا إليه ما هم فيه، وسأله أن يُخرِج الحبشة من اليمن، ويكون له ملك اليمن فلم يُجِبه قيصر إلىٰ ذلك، فتوجَّه إلىٰ النعمان بن المنذر، عامل الملك الفارسي كسرىٰ أنوشروان علىٰ الحيرة وما يليها من أرض العراق، فشكا إليه أمرَ الحبشة، فطلب منه النعمان أن يبقىٰ عنده إلىٰ أن يفد علىٰ كسرىٰ، فيدخل عليه معه.

بعد أن قصَّ سيف بن ذي يزن علىٰ كسرىٰ ما أحدثه الحبشة في اليمن، أمدَّه كسرىٰ بجيش قوامه ثمانمائة رجلٍ كانوا في السجون ومحكوم عليهم بالقتل، وأمَّر عليهم شخصًا اسمه وهرز (أو بهريز) الديلمي، فاستطاع هزيمة مسروق بن أبرهة وقتله، وتولىٰ وهرز حكم اليمن بعده.

وهرز الفارسي وأولاده حكام اليمن

حكم الأحباش اليمن اثنتين وسبعين سنة، ثم تولىٰ حكمها وهرز الفارسي، القائد الذي أرسله كسرىٰ أنوشروان لنجدة سيف بن ذي يزن، وبعد موته ولَّىٰ كسرىٰ ابنه المرزبان، ثم بعد موته

ولَّىٰ كسرىٰ ابنه التِّيْنُجان بن المرزبان، ثم عزله وأمَّر عليها باذان بن ساسان.

باذان بن ساسان الفارسي

بقي باذان علىٰ اليمن إلىٰ بعثة النبي محمد صلىٰ عليه وسلم، ثم أسلم في السنة السادسة للهجرة ٦٢٧م، وقد عيَّنه رسول الله ﷺ واليًا علىٰ اليمن، وفيها أمضىٰ بقية عمره، ويعدُّه معظم المؤرِّخين من جُملة الصحابة، وقصة إسلامه مفصَّلة في كتب السِّيَر، وبعد موته صار ابنه داذويه واليًا علىٰ اليمن.

شَبابٌ وفَتياتٌ

(أسباب انتشار الإلحاد في العصر الحديث[١])

«... فهكذا بدأ الإِلْحَاد فِي هذا العصر، وعلىٰ هذا النحو انتشر فِي العالم.

وأما أَسْبَاب انتشاره فِي هذا العصر الَّذِي جعل الأمور تنقلب هكذا رأسًا علىٰ عقب، بعد أن كَانَ الملحد يتوارىٰ ناحية، وإذا طولِب بالدليل علىٰ إنكاره وجحده للخالق الْعَظِيم لم يأتِ بدليل؛ صار هو الَّذِي يتعجَّب من وُجُود مَنْ يؤمن بوجود الخَالِق الْعَظِيم!!

الذي أَدَّىٰ إِلىٰ انقلاب الأمور هكذا رأسًا علىٰ عقب، وتَحَوُّلِ كثيرٍ من الناس فِي الغرب هذا التحولَ العجيبَ مِنَ الاعترافِ بربوبيةِ الخَالِقِ إِلىٰ إنكارِ وُجُودِه؛ بل إِلىٰ محاربةِ المؤمنينَ بوجودِه حَرْبًا ضَارِيَةً بالأقلام، وأحيانًا بِحَدِّ السِّنَانِ، كما حَدَثَ فِي البلاد الشيوعية. حاول كثيرٌ من الغربيين أنفسِهم أن يفسروا هذه الظاهرة، وأن يجيبوا عَنْ مثل هذه الأسئلة، وكتبوا فِي ذَلِكَ

(١) محاضرة للشيخ محمد بن سعيد رسلان بتاريخ ٢٦ من رجب لعام ١٤٣٧هـ، نُشِر علىٰ موقع الشيخ علىٰ الرابط الآتي:
https://www.rslantext.com/Topic.aspx?ID=153

كتبًا كثيرة، وما ذكروه من الأَسْبَاب يُجْمَلُ فِي:

✓ ما كَانَ من التناقض الشديد بين كثيرٍ من دعاوىٰ الدين الذِي ورثوه، والعِلْم التجريبي الذِي اكتشفوه؛ فقد وجدوا وما زالوا يجدون كثيرًا من دعاوىٰ دينهم مخالفةً لِمَا أَثْبَتَتْهُ عُلُومُهُمُ التجريبيةُ، والأمثلةُ علىٰ ذَلِكَ كثيرةٌ جدًّا، ويكفي أن تنظر فِي كتاب (مُورِيسْ بُوكَايْ): ((العِلْم والكتاب المقدَّس والقرآن)) أو ((القرآن والتوراة والإنجيل فِي ضوء العِلْم الْحَدِيث))، كما هو فِي الطبعة المترجمة إِلىٰ العربية.

✓ كذَلِكَ كَانَ من الأَسْبَاب: التناقض بين منهج العِلْم التجريبي القائم علىٰ الدليل الحسِّي، ومنهجِ دينهم التسليمي؛ لأن قادتهم الدِّينِيِّينَ لم يكونوا يقبلون نقاشًا، ولا يلتزمون بالإتيان بدليل، وإنما هكذا يُقرِّرون!! فما قرروه فهو الْحَقيقة التي لا يُشَكُّ فِيها!!

فوقع التناقض بين منهج العِلْم التجريبي الذِي يقوم علىٰ الدليل الحسِّي أو العقلي، وهذا المنهجِ التسليمي، بين منهجِ العِلْم الذِي يشترط الاتِّساق المنطقي، ومنهجِ دينِهِم الذِي يقبل المتناقضاتِ العقليةَ علىٰ أساس أن حقائق الدين يقبلها القلب؛ وإن رآها مخالفة لصريح العقل!! فكذَلِكَ كَانَوا يُوهِمُونَ أتباعَ الكَنِيسةِ الغربيةِ؛ أَنَّهُ ينبغي عليك أن تقبل هذا، وأن تعتقده، وألَّا تناقش فِيه، فإنْ نَاقَشَ كَانَ مُهَرْطِقًا، وربما حُكِمَ بقتله.

✓ من الأَسْبَاب أَيْضًا: خوض كثير من علماء الدين وغيرهم

من المثقفين الْمُتَدَيِّنِينَ فِي المسائل الغيبية، والحديثُ عَنْها بمجرَّد الرأي الَّذِي لا سند له من كتابهم، ولا دليل عليه من غيره. مِنْ ذَلِكَ مثلًا: ما كتبه نِيُوتِنْ من كلامٍ مُفَصَّلٍ عَنْ طُوبُوغْرَافِيَّةِ جهنم. تكفَّل نِيُوتِنْ بأن يبينها لنا!!

مِن أين جاء بهذا؟!!

أَمِنْ كتابه؟! أَمْ مِن غيره؟!

أليس عالمًا؟!

فما دام عالمًا فِي فرعٍ من فروع الْعِلْم المادي؛ فلْيتكلمْ فِيما شاء!!

كذَلِكَ تَعُصُّبُ بعضِ الْعلماءِ الطَّبِيعِيِّينَ الْمُتَدَيِّنِينَ تعصُّبًا جعلهم يحاولون لَيَّ أعناقِ الْحَقائق الْعِلْمية؛ لِتُوَافِقَ الدعاوىٰ الدينية.

من ذَلِكَ أيضًا: أنَّ ((المُطْرَان جِيمْزْ أَشِرْ))- وهو دارسٌ مشهور للكتاب المقدَّس- اِسْتَنْتَجَ مِن تحليلٍ مُتَأَنٍّ لنصوصِ الكتاب المقدَّس أن الْأَرْض خُلِقَتْ فِي عامٍ أربعٍ وأربعةِ آلافٍ ((٤٠٠٤)) قبل الميلاد!!

هكذا!!

ونُشِـرَتْ هـذه النتيجـةُ التـي تَوَصَّـلَ إِلَيْهـا رئيـسُ الأَسَـاقِفَةِ فِـي سـنةِ خمسـينَ وسـتمائةٍ وألـف ((١٦٥٠)) مـن التاريـخ الصليبـي، ولـم تلبـث أن أُلْحِقَـتْ بهامـشِ سِفْرِ التكويـنِ، إِلَـىٰ النسـخة المعتَمَـدَةِ للكتـاب المقـدس!!

كأنها نُزِّلَتْ وحيًا معصومًا!!

وظَلَّـتْ بـه حتـىٰ زمـانِ دِكْتُورْيَـا، ولا يـزالُ مِـن المُمْكِـنِ وُجُودُهـا أحيانًـا حتـىٰ اليـومَ.

لـم يكـن غريبًـا أنْ يَأْتِـيَ هـذا الزَّعْـمُ مِـنْ رجـلِ ديـنٍ يَعْتَمِـدُ علـىٰ كتابِـهِ؛ لَكِـنَّ الغريـبَ أنَّ مُعَاصِـرًا لهـذا الأُسْـقُفّ- وهـو مُدِيـرُ جامعـةِ ((كَامْبِرِيـدج)) آنـذاك- أَيَّـدَ هـذا الزعـم؛ بـل ذهـب إِلَـىٰ أبعـدَ مـن هـذا؛ إذ زعـم أنَّ الثالـوثَ خَلَـقَ الإنسـان فِـي الثالـث والعشـرين مِـنْ أُكْتُوبـر سـنةَ أربـعٍ وأربعـةِ آلافٍ ((٤٠٠٤)) قَبْـلَ المِيـلَادِ، عَنْـدَ السـاعةِ التاسـعةِ صباحًـا!!

كمـا أَوْضَـحَ ((رُونَالْـدْ مِلَـرْ))؛ قَـالَ: إنَّ مُدِيـرَ جامعـةِ ((كَامْبِرِيـدج)) هـو وحـدَه الَّـذِي تَبْلُـغُ بـه الْجُـرْأَةُ أَنْ يَجْعَـلَ تاريـخَ خَلْـقِ الإنسـانِ وَوَقْتَـه مُوَافِقًـا لِبِدَايَـةِ العَـامِ الدراسِـيِّ!!

إذا رَأَىَ الناسُ هذا كَفَرُوا بالدين.

يقولون: هذا من الدين، ونَطَقَ به الكتابُ!!

فالناس حينئذٍ لا بد أن يَشُكُّوا فِي هذا الدين، أو أن يَكْفُرُوا به.

فكان هذا من الأَسْبَاب التي أَدَّت إِلَىٰ ظهور هذا الْإِلْحَاد الأوروبِّيِّ وانتشارِهِ.

✓ وكذَلِكَ من الأَسْبَاب: الخلافُ بين الْعِلْم والدينِ الَّذِي لم يَقْتَصِرْ علىٰ مسائلِ الدينِ الفرعيةِ؛ بل شَمِلَ مسائلَه الأُصوليةَ. فمِنَ المعروفِ الآنَ حتىٰ عَنْد علماءِ اللَّاهُوت: أَنَّهُ ليس هُنَاكَ مِنْ دليلٍ عِلْمِيٍّ علىٰ أن الكتاب الَّذِي يَقُومُ عليه الدينُ كلُّه هو مِنْ قَوْلِ المسيحِ.

بل المعروفُ أَنَّهُ كتبه أناسٌ آخَرُون، منهم مَنْ هو معروفٌ، ومنهم مَنْ ليس بمعروفٍ- هذا مقرَّرٌ حتىٰ عَنْد علماءِ اللاهوت!-، وأنهم كتبوه بعدَ رَفْعِهِ بِأَمَادٍ طويلة- هم يَقُولون: بَعْدَ مَوْتِهِ، أو بَعْدَ صَلْبِهِ!!-، وأن هُنَالِكَ تناقضًا فِي أقوالِ هَؤُلَاءِ الكُتَّاب، حتىٰ صارت دراسةُ مِثْلِ هذا التناقضِ تُسَمَّىٰ عَنْدهم بـ ((النقضِ الأعلىٰ)). هذا مشهورٌ عَنْدَهم، ليس بِمُنْكَرٍ.

فالدين لم يَدْخُلْ فِي الصِّدَامِ مع الْعِلْم فِي المسائلِ الدينيةِ الْجُزْئِيَّةِ؛ بل في أصلِ الأصولِ فِيهِ، هذا كُلُّه هو دينُ الْكَنيسَةِ الغَرْبِيَّةِ!!

✓ كذَلِكَ من الأَسْبَاب: أَنَّهُ قد شَمِلَ التناقضُ فكرةَ الألوهيةِ نفسَها، فبينما يوصَفُ الإلهُ بأنه هو الخَالِقُ؛ يُنْسَبُ إِلَيْهِ الولد!! وبينما يقال: إن عيسىٰ ابن الله؛ يقال: أَنَّهُ صُلِبَ!! وبينما يقال: إن الإله واحد؛ يقال: أَنَّهُ مُكَوَّنٌ مِن ثلاثةِ أَقَانِيمَ، هي: الأبُ، والابنُ،

ورُوحُ القُدُسِ!! وهكذا. فوقع التناقض؛ حتىٰ فِي فكرة الألوهية ذاتِها.

رَأَىٰ بعضُ المؤمنين من النصارىٰ أنَّ وصفًا كهذا لله إِذَا أُخِذَ علىٰ ظاهره التي تَدُلّ عليه اللغة؛ جَعَلَ الخَالِق ﷻ مشابِهًا للمخلوقات، ففروا من هذا التشبيه إِلَىٰ ما سماه علماؤنا من أهل السُّنة بالتعطيل، فلم يكتفوا بتأويل هذه الصفات التي تَدُلّ علىٰ المشابهة؛ بل أَوَّلُوا كل الصفات الأخرىٰ، فجعلوا الخَالِق شيئًا مجردًا، فهو لا يوصف بالعُلو، ولا بالمباينة للمخلوقات، ولا بأنَّ له ذاتًا؛ ولا أن له صورةً؛ وإنما هو شيءٌ مُجَرَّدٌ لا يوصَفُ بصفةٍ مِنَ الصفاتِ الثُّبُوتِيَّةِ؛ كالحياةِ والسمعِ والبصرِ والكلامِ وما أشبه!!

كَتَبَ أحدُ القَسَاوِسَةِ قريبًا كتابًا أسماه: ((الإلهُ الباطنيُّ))، زعم فِيه أَنَّهُ ليس لله ﷻ وُجُودٌ خارجي، وأن الإيمان بالله إنْ هو إلا إيمانٌ بمجموعةٍ مِن المُثُلِ والمبادئِ الخُلُقيةِ. هذا التصوُّرُ التعطيليُّ للخالقِ أَصْبَحَ الآنَ التصوُّرَ الشائعَ بين جماهيرِ المثقفينَ مِنْ أَهْلِ الدِّيَانَتَيْنِ: النصرانيةِ واليهوديةِ. فهذا الإيمانُ بالله عَنْدَهم، صار هذا التصورَ التعطيليَّ للخالق الْعَظِيم؛ بل ربما كَانَ الأمرُ قريبًا من ذَلِكَ؛ حتىٰ بَيْنَ كثيرٍ مِن المثقفين من المسلمين أنفسِهم.

إنَّ المسافةَ ليست بعيدةً بين هذا التصوُّرِ التجريبيِّ للخالقِ وبين الْإِلْحَاد. الإِلْحَاد: إنكارٌ لوجود الخَالِق، وهذا- أي التصوُّرُ التجريبيُّ- إنكارٌ لكلِّ صفاته، وهل يكون وُجُودُ أيِّ ذاتٍ إلا

بصفاتٍ ثبوتيةٍ؟! فمَن أنكر كلَّ الصفاتِ الثبوتيةِ؛ فقد أنكر الوجودَ، شَعَرَ بذَلِكَ أم لم يشعر؛ ولذا كَانَ مِثْلُ هذا التصوُّرِ لِوُجُودِ الخَالِقِ مقدِّمةً مُمَهِّدَةً للإِلْحَاد، وقد فَطِنَ أئمةُ علماءِ السنةِ قديمًا إِلَىٰ مثل هذا، فكَانُوا يَقُولون: إنَّ المُشَبِّهَ يَعْبُدُ صَنَمًا، والمُعَطِّلَ يَعْبُدُ عَدَمًا.

المشبِّهُ هو الَّذِي يَجْعَلُ صفاتِ الخَالِقِ كصفاتِ المخلوقين، وهكذا مع فارقٍ واحدٍ، هو: عِظَمُ هذه الصفاتِ حينَ يُوصَفُ بها الخَالِقُ؛ لَكِنْ يَجْعَلُونَ المُشَابَهَةَ- بل المُمَاثَلَةَ- واقعةً بَيْنَ صفاتِ الخَالِق وصفاتِ المخلوقين. وأما المُعَطِّلُ؛ فهو الَّذِي يَفِرُّ من تشبيهِ اللهِ بالمخلوقات؛ لِيَقَعَ فِي تشبيهٍ شَرٍّ منه؛ وهو: تشبيه الخَالِقِ الْعَظِيم بالمعدوماتِ والمستحيلاتِ؛ لأن المعدوم هو الَّذِي يوصَفُ بكل صفةٍ سَلْبِيَّةٍ؛ كَأَنْ تَقُولَ: هُوَ لَيْسَ داخِلَ العالَمِ ولا خَارِجَهُ، ولا أَمَامَ وَلَا خَلْفَ، وَلَا فَوْقَ وَلَا تَحْتَ، ولا عَنْ يمينٍ ولا عَنْ شمالٍ. وهكذا لا يوصَفُ بصفةٍ ثُبُوتيةٍ، ولا تُثْبَتُ له صفةٌ مِن الصفاتِ الثبوتيةِ؛ كَالْعَظَمَةِ، كَالْكِبْرِيَاءِ، كَالْبَصَرِ، كَالسَّمْعِ، كَالْحَيَاةِ، كَالْعُلُوِّ.

وقد أَدْرَكَ علماءُ أهلِ السنةِ خَطَرَ هذا التَّصَوُّرِ للخالقِ، فَأَلَّفُوا الكُتُبَ الكثيرةَ فِي الرَّدِّ علىٰ أصحابِهِ مِنَ الجهميةِ والمعتزلةِ قديمًا، ولولا ذَلِكَ لوُجِدَ الإِلْحَادُ فِي العالَمِ الإسلاميِّ قديمًا، كما وُجِدَ فِي العالَمِ الغَرْبِيِّ تَبَعًا لِمَا قَرَّرَهُ المُعَطِّلَةُ الَّذِينَ ما زَادُوا فِي

وَصْفِ الرَّبِّ ﷻ بِسَلْبِ الصفاتِ عَنْه علىٰ أنْ جَعَلُوهُ مَعْدُومًا.

فَلَوْ أنَّ إنسانًا أراد أن يُبَيِّنَ حقيقةَ المَعْدُوم، أو صِفَةَ المَعْدُوم، أوْ حَدَّ وتَعْرِيفَ المَعْدُوم؛ ما وَجَدَ أَبْلَغَ مما أَتَىٰ به أهلُ السُّلُوبِ الَّذِينَ سَلَبُوا عَن الله ﷻ كُلَّ الصفاتِ؛ ولَكِنَّ أنواعًا مِن هذا التصوُّرِ التعطيليِّ تَعُودُ الآنَ، فَتَنْتَشِرُ بين المُتَقَّفِينَ فِي العالَمِ الإسلاميِّ بِسَبَبِ ذَلِكَ التاريخِ القديمِ، ثم بِسَبَبِ الإِلْحَادِ المُعَاصِرِ.

فنسأل الله أنْ يَحْفَظَ علينا وعلىٰ المسلمين دِينَنَا، وأنْ يُثَبِّتَنَا علىٰ الْحَقِّ الَّذِي هَدَانَا إِلَيْهِ. وصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

صَدِّقْ أو لا تُصدِّقْ

١- أكبر مُعمِّر على كوكب الأرض[١]

صينيٌّ اسمه لي تشينج يوين قد يكون أكبر معمِّر علىٰ هذا الكوكب في التاريخ الحديث؛ إذ بلغ عمره ٢٥٦ سنة، ورغم أنه لا يوجد دليلٌ قاطعٌ علىٰ طول عمره، غير أنه يُخبر عن نفسه بأنه وُلِد في عام ١٧٣٦م، إلا أنه في عام ١٩٣٠م، وجد البروفيسور وو تشونغ من جامعة تشنغتو سجلات بأن الحكومة الإمبريالية الصينية كانت قد هنَّأَت لي تشينج في عام ١٨٢٧م بمناسبة عيد ميلاده المائة والخمسين، مما يعني أنه وُلِد في عام ١٦٧٧م.

عندما بلغ يوين من العمر عشر سنوات سافر إلىٰ جميع أنحاء الصين لجمع الأعشاب، واستمرَّ في فعل ذلك لبقية سنواته المائة الأولىٰ، وعندما سُئِل عن السِّر في طول عمره، أجاب: «حافظ علىٰ قلبٍ هادئ، اجلس كسلحفاة، امش بشكل رائع مثل الحمامة، ونم مثل الكلب».

يُقال بأنه دفن في حياته ٢٣ زوجة، وعندما توفي كان يعيش مع زوجته الرابعة والعشرين، وكانت في سِنِّ الستين عامًا، وكان له أحفاد من أحد عشر جيلًا.

---

(١) «لي تسينون»، موقع «الويكيبيديا العربية»، علىٰ الرابط الآتي:
https://ar.wikipedia.org/wiki/لي_تسينون

٢- أطفال يتم شحنهم عبر البريد[١]

من المعتاد أن خدمات البريد تقتصر فقط على شحن البضائع والطرود وغيرها من المواد المعتادة، ولكن في عام ١٩١٣م وافق مديرو البريد في أمريكا على زيادة أوزان الطرود البريدية من أربعة أرطال إلى خمسين رطلًا، مما حدى بالزبائن لشحن العديد من السلع المختلفة والغريبة بين أمريكا والبلدان الأخرى، ومن أغرب ذلك قيام البعض بشحن أطفالهم من مدينة لأخرى، بعد أن يتمَّ ختمهم بأختام البريد، ومن بين تلك الحالات ما قامت به إحدى العائلات بشحن طفليهما اللذين يزن كل واحدٍ منهما عشرة أرطال لمنزل جدتهما في ولاية أخرى.

٣- الرجل الأوفر حظًّا في العالم[٢]

اسمه فران سيلاك، وهو من كرواتيا من مواليد عام ١٩٢٩م، ونجا من العديد من الحوادث بأعجوبة:

✓ في عام ١٩٦٢م، تعرَّض لحادث سقوط قطار من أعلى حافة

(١) «قصص تاريخية غريبة»، موقع «ويكي ويك»، على الرابط الآتي:
https://wikiwic.com/قصص-تاريخية-غريبة

(٢) ««فران سيلاك» الرجل الأوفر حظًا في العالم»، موقع «سيدي»، على الرابط الآتي:
https://www.sayidy.net/article/59666/

لنهر جليدي، ومات كل ركاب القطار فيما عداه، فقد استطاع أن يسبح إلىٰ الشاطئ ويعبره، ونجا بأعجوبة من هذا الحادث، ولكن ببعض الكدمات البسيطة بجسده وكسرٍ بذراعه.

✓ وفي عام ١٩٦٣م، ركب طائرة لأول مرة في حياته، وتعرَّضت الطائرة بشكل مفاجئ إلىٰ تعطُّل في المحركات، وفُتِحت أبواب الطائرة بفعل الضغط الذي تعرضَّت له خلال السقوط، فسُحِبَ منها فران خارجًا، ومات كل ركاب وطاقم الطائرة، وأما هو فقد سقط حيًّا علىٰ كومة ضخمة من القش.

✓ وفي عام ١٩٦٦م، ركب سيلاك المواصلات العامة في مدينته، فتعرَّضت الحافلة التي يستقلها إلىٰ حادث سقوط من أعلىٰ حافة جسر في النهر، ومات أربعة ركاب منها، وأما سيلاك فأصيب ببعض الكدمات.

✓ وفي عام ١٩٧٠م اشترىٰ فران سيارة جديدة، وفور ركوبه لها لأول مرة، احترق المحرك الخاص بها خلال قيادته إياها، وقبل انفجار السيارة بثوانٍ معدودة، استطاع أن يقفز منها دون أية إصابات أو كدمات.

✓ لم يفقد فران الأمل، فقام بشراء سيارة أخرىٰ في عام ١٩٧٣م، فتعرَّضت لتسريبٍ في الوقود علىٰ المحرك؛ بسبب عيب في مضخة الوقود، مما تسبَّب في خروج نار من فتحات الهواء، وتعرَّض لبعض الحروق والكدمات، ولكنه لم يتوفىٰ أيضًا.

✓ وفي عام ١٩٩٥م تعرَّض لحادث سير؛ إذ صدمته إحدى الحافلات، ولكنه لم يمت، وتعافى بعدها.

✓ وفي عام ١٩٩٦م، كان فران يقود سيارته السكودا في طريق جبلي، وفوجئ بسيارة نقل مقابلة له، ففقد السيطرة على سيارته، وسقطت من فوق تلة ارتفاعها ٩١ مترًا وانفجرت، لكنه استطاع القفز منها، وتمسَّك بشجرة، ونجا من الموت.

✓ وبعد كل تلك الحوادث، اشترى سيلاك في عام ٢٠٠٥م أول بطاقة يانصيب له، وربح مليونًا ومائة ألف دولار أمريكي.

٤- قصة واقعيَّة أغرب من الخيال عن بِرِّ الوالدين[١]

امرأة متخلِّفة عقليًّا منذ الولادة، تزوجها شخصٌ، ثم لما رأى تخلُّفها العقلي، طلقها بعد شهرٍ من زواجهما وكانت حاملًا، فأنجبت له ابنًا قامت جدته برعايته، ثم ماتت جدته وعمره عشر سنوات، ومنذ ذلك الحين صار ابنها يرعاها ويحمل همَّها، وهذه قصتها كما ترويها إحدى الطبيبات:

تقول الطبيبة: دخلتْ عليَّ في العيادة امرأة في الستينات بصحبة ابنها الثلاثيني، ولاحظتُ حرصَه الزائد عليها؛ فكان يُمسك

(١) «قصة واقعيّة وأغرب من الخيال عن برّ الوالدين»، منتدى «الكفيل»، على الرابط الآتي:
https://forums.alkafeel.net/node/85469

يدها، ويُصلح عباءتها، ويمدَّ لها الأكل والماء، وبعد سؤالي عن المشكلة الصحية وطلب الفحوصات، سألته عن حالتها العقلية لأنَّ تصرفاتها وردودها علىٰ أسئلتي لم تكن موزونة، فقال: «إنها متخلِّفة عقليًّا منذ الولادة!»

تملَّكني الفضول، فسألته عمَّن يرعاها، فأخبرني أنه هو، فسألته عمَّن يهتم بنظافة ملابسها وبدنها، فقال: «أنا أدخلها الحمَّام، وأحضر لها ملابسها، ثم أنتظرها إلىٰ أن تنتهي، وأصفف ملابسها في الدولاب، وأضع المتَّسِخ في الغسالة، واشتري لها الناقص من الملابس».

سألته الطبيبة: «ولم لا تحضر لها خادمة؟» فقال: «لأن أمي مسكينة مثل الطفل لا تشتكي، وأخاف أن تؤذيها الشغالة»، فاندهشتْ من كلامه ومقدار برِّه بأمه، فسألته: «وهل أنت متزوج؟» قال: «نعم والحمد لله، ولديَّ أطفال»، فسألته: «إذن زوجتك ترعىٰ أمك؟» قال: «زوجتي تطهو الطعام، وتُقدِّمه لها، وقد أحضرتُ لزوجتي خادمة لتعينها، ولكني أحرص أن آكل مع أمي حتىٰ أطمئن عليها لأن عندها سكر».

تقول الطبيبة: «زاد إعجابي، ومسكت دمعتي، ثم اختلستُ نظرة إلىٰ أظافرها فرأيتها قصيرة ونظيفة»، فقلتُ له: «ومن يقصُّ لها أظافرها؟» فقال: «أنا»، وأضاف: «يا دكتورة هي مسكينة!»

نظرت الأم لولدها وقالت: «متىٰ تشتري لي الشيبس؟!»

فقال لها: «أنت تأمري.. الآن سنذهب إلىٰ البقالة ونشتري الشيبس»، فطارت الأم من الفرح وقالت: «الآن .. الآن!» التفتَ الابن إليَّ وقال: «والله إني أفرح لفرحتها أكثر من فرحتي بأولادي الصغار».

كتبت الطبيبة الوصفة، وشرحت له الدواء، فأمسك بيد أُمِّه وقال: «الآن سنذهب إلىٰ البقالة»، فقالت له أمه: «لا بل خذني إلىٰ مكة!»

تعجَّبت الطبيبة وقالت للأم: «لماذا تريدين الذهاب إلىٰ مكة؟» قالت: «حتىٰ أركب الطائرة!» فقالت الطبيبة لابنها: «هل يُعقل أن تأخذها إلىٰ مكة؟» قال: «طبعًا»، فقالت الطبيبة: «ولكن هي ما عليها من حرج لو لم تعتمر لأنها مريضة، والمريض ما عليه من حرج، فلماذا تذهب بها وتُضيِّق علىٰ نفسك؟» فقال: «لأن الفرحة التي ستفرحها عندما آخذها إلىٰ مكة قد تكون أكثر أجرًا عند رب العالمين من عُمْرتي بدونها».

عندما خرجوا من العيادة، خاطبتْ الطبيبة نفسها قائلة: «فقط حملته وولدته ولم تربِّه، ولم تسهر عليه الليالي، ولم تُدرِّسه، ولم تتألم لألمه، ولم تبكِ لبكائه، ولم يجافِها النوم خوفًا عليه، ومع كل ذلك يبرُّ بها كلَّ هذا البر، فهل سنفعل بأمهاتنا الصحيحات مثلما فعل هذا الرجل بأمه المتخلِّفة عقليًّا؟!!»

مِنْ لَطَائِفِ الشِّعْرِ

أشهر (١٢٠) بيتَ شعر منتقاه قالتها العرب، وكلها حِكَم:

١- إِذَا كَانَ الطِّبَاعُ طِبَاعَ سُوءٍ ... فَلَا أَدَبٌ يُفِيدُ وَلَا أَدِيبُ

٢- إِذَا جَاءَ مُوسىٰ وأَلْقَىٰ العَصَا ... فَقَدْ بَطَلَ السِّحْرُ والسَاحِرُ

٣- إِذا رَضِيَتْ عَنِّي كِرامُ عَشيرَتي ... فَلَا زَالَ غَضْبَانًا عَلَيَّ لِئَامُهَا

٤- إذا لم تَكُنْ إلَّا الأَسِنَّةُ مَرْكَبًا ... فَمَا حِيلَةُ المُضْطَرِّ إلَّا رُكُوبُهَا

٥- إذا مَا أَتَيْتَ الأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ... ضَلَلْتَ وإنْ تَقْصِدْ إلىٰ البابِ تَهْتَدِي

٦- إنَّ العَدُوَّ وإنْ أَبْدَىٰ مُسالَمَةً ... إذا رَأَىٰ مِنْكَ يَوْمًا فُرْصَةً وَثَبَا

٧- إذا مَلِكٌ لم يَكُنْ ذا هِبَةْ ... فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَةْ

٨- إذا كان ربُّ البيتِ بالدِّفِّ ضاربًا ... فشيمةُ مَن في الدار كُلُّهُمُ الرَّقصُ

٩- إذا كُنتَ لا تدري فتلك مصيبةٌ ... وإنْ كُنتَ تدري فالمصيبةُ أعظمُ

١٠- إذا ما أرادَ اللهُ إهْلاكَ نملةٍ ... سَمَتْ بجناحَيْها إلىٰ الجَوِّ تَصْعَدُ

١١- إذا أَنْتَ لم تُعْرِضْ عَنِ الجَهْلِ وَالخَنَا ... أَصَبْتَ حَليمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ

١٢- إذا قالتْ حَذَامِ فصدِّقوها ... فإنَّ القولَ ما قالتْ حَذَامِ[1]

(١) من الأمثال التي تُضرَب في الحكمة والقول السديد، وتُعبِّر عن بُعْد النظر

١٣- إذا لـم تستطِعْ شـيئًا فَدَعْـهُ ... وجَـاوِزْهُ إلـىٰ مـا تستطيعُ
١٤- إذا مَحَاسِنِيَ اللاتي أُدِلُّ بها ... عُـدَّتْ ذُنُوبًا فَقُلْ لي كيفَ أعتذرُ
١٥- إذا اعتادَ الفتىٰ خَوْضَ المنايا ... فأيسـرُ مـا يمـرُّ بـه الوُحُـولُ
١٦- إذا كنتَ ذا رأيٍ فَكُنْ ذا عزيمةٍ ... فـإنَّ فَسـادَ الـرأيِ أنْ تَتَـرَدَّدَا
١٧- إذا لم يكُنْ عونٌ من اللهِ للفتىٰ ... فـأولُ مـا يجنـي عليـهِ اجتهـادُهُ
١٨- إذا ما الجرحُ رَمَّ علىٰ فَسـادٍ ... تَبَيَّـنَ فيـهِ تفريـطُ الطبيـبِ
١٩- إذا نحنُ أَدْلَجْنا وأنتَ إمَامُنا ... كفـىٰ لمطايانـا برؤيـاكَ هاديَـا
٢٠- أَسَدٌ عليَّ وفي الحروبِ نَعامةٌ ... رَبْـدَاءُ تجفُـلُ مـن صَفيـرِ الصَّافِـرِ
٢١- أعمىٰ يقودُ بصيرًا لا أبا لَكُمُ ... قدْ ضَـلَّ مَنْ كانتِ العُميـانُ تَهديهِ
٢٢- أَقِلُّوا عليهـم لا أبـا لِأَبِيكُـمُ ... مِنَ اللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا
٢٣- ألـم ترَ أنَّ المرءَ تَدْوِي يَمينهُ ... فَيَقْطَعُهـا عَمْـدًا لِيَسْـلَمَ سَـائِرُهْ
٢٤- ألم ترَ أنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ ... إذا قِيلَ إنَّ السَّيْفَ أَمْضىٰ مِنَ العَصَا
٢٥- ألَا رُبَّ بـاغٍ حَاجَـةً لا يَنَالُهـا ... وآخَـرُ قَـدْ تُقْضَـىٰ لَـهُ وَهُـوَ جَالِسُ
٢٦- إنَّ الرياحَ إذا اشْتَدَّتْ عَواصِفُهَا ... فَلَيْسَ تَرمي سِوَىٰ العَالي مِنَ الشَّجَرِ

والبصيرة، وحَذام هي امرأة لرجل يدعىٰ لُجَيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وهي حَذام بنت الريان بن خسر بن تميم، وكانت امرأة شديدة الذكاء، واسعة الحيلة، تُصيب الرأي إن قالت، وتظنُّ الأمر فيأتي كما توقَّعت، وكان زوجها لُجَيم شاعرًا يثق في حدسها وقوة إدراكها، وهو مَن قال فيها هذا البيت.

٢٧- إنَّ الأَفَاعِي وإنْ لانَتْ مَلامِسُها ... عِنْـدَ التَّقَلُّـبِ في أنيابهـا العَطَـبُ

٢٨- أَوْرَدَها سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلْ ... مَـا هَكَـذا يَـا سَـعْدُ تُـورَدُ الإِبِـلْ

٢٩- بِأَبِـهِ اقْتَدَىٰ عَدِيٌّ فِي الْكَـرَمْ ... وَمَـنْ يُشَـابِهْ أَبَـهُ فَمَـا ظَلَـمْ

٣٠- بَدَأْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ فَأَثْنَيْتُ جَاهِدًا ... وإِنْ عُدْتُـمُ أَثْنَيْتُ والعَـوْدُ أَحْمَـدُ

٣١- بِذَا قَضَتِ الأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِها ... مَصَائِـبُ قَـوْمٍ عِنْـدَ قَـوْمٍ فَوَائِـدُ

٣٢- بِالملْحِ نُصْلِحُ مَانَخْشَىٰ تَغَيُّرَهُ ... فَكَيْفَ بِالملْحِ إِنْ حَلَّتْ بِهِ الغِيَرُ

٣٣- تَرَىٰ الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ ... وَفِي أَثْوابِـهِ أَسَـدٌ هَصُـورُ

وَيُعجِبُـكَ الطَّرِيـرُ فَتَبتَلِيـهِ ... فَيُخلِـفُ ظَنَّـكَ الرَجُـلُ الطَّرِيـرُ

٣٤- تَعَشَّقْتُها شَمْطَاءَ شَابَ وَلِيدُهَا ... وَلِلنَّـاسِ فِيمَـا يَعْشَـقُونَ مَذَاهِـبُ

٣٥- تَقُولُ هذا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ ... وإِنْ تَعِـبْ قُلْـتَ ذَا قَـيْءُ الزَّنابِيـرِ

مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصْفَهُمَا ... سِحْرُ البَيَانَ يُرِي الظَّلْمَاءَ كَالنُّورِ

٣٦- تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا ... إِنَّ السَّـفِينَةَ لا تَجْـرِي علىٰ اليَبَسِ

٣٧- تَضَاحَكْـتُ بَيْنَهُـمُ مُعْجَبًـا ... وَشَـرُّ البَلِيَّـةِ مَـا يُضْحِـكُ

٣٨- تَكَاثَرَتِ الظِّبَاءُ علىٰ خَرَاشٍ ... فَمَـا يَـدرِي خَـرَاشٌ مَـا يَصِيـدُ

٣٩- حَيَّاكَ مَنْ لم تَكُنْ تَرْجُو تحيَّتَهُ ... لَـوْلا الدَّرَاهِـمُ مَـا حَيَّـاكَ إِنْسَـانُ

٤٠- خُذْ ماتَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ ... في طَلعَةِ البَدْرِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

٤١- خَلا لَكِ الجَوُّ فَبِيضِي وَاصْفِرِي ... وَنَقِّـرِي مـا شِـئْتِ أَنْ تُنَقِّـرِي

وعارضه بعضهم بقوله:

٤٢- خَلا لَكِ الجَوُّ فَغَنِّي وَاطْرَبي ... وَخَرِّبـي مَـا شِـئْتِ أنْ تُخَرِّبـي

٤٣- الخيـرُ لا يأتيـكَ مُتَّصِـلَا ... والشَّـرُّ يَسْـبِقُ سَـيْلَهُ مَطَـرُهْ

٤٤- ذُو العَقْلِ يَشْقَىٰ فِيْ النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ ... وأَخُـو الجَهَالَـةِ فِـيْ الشَّـقَاوَةِ يَنْعَمُ

٤٥- رُبَّ يَـوْمٍ بَكَيْـتُ مِنْـهُ فَلَمَّـا ... صِـرْتُ فِي غَيْـرِهِ بَكَيْـتُ عَلَيْـهِ

٤٦- رَضِيتُ بِبَعْضِ الذُّلِّ خَوْفَ جَمِيعِهِ ... كَذلِكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

٤٧- زَعَمَ الفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبَعا ... أَبْشِـرْ بِطُـولِ سَـلَامَةٍ يَـا مَرْبَـعُ

٤٨- زَعَـمَ المُسَـفِّهُ أَنْ يُغَالِبَ رَبَّهُ ... ولَيُغْلَبَـنَّ مُغَالِـبُ الغَـلَّابِ

٤٩- سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ ما كُنْتَ جَاهِلًا ... وَيَأْتِيـكَ بالأَخْبـارِ مَـنْ لـم تُـزَوِّدِ

٥٠- سَتَذْكُرُنِي إِذَا جَرَّبْتَ غَيْرِي ... وَتَعْلَـمَ أَنَّنـي نِعْـمَ الصَّدِيـقُ

٥١- سُـتُورُ الضَّمَائِـرِ مَهْتُوكَـةٌ ... إِذَا مَـا تَلَاحَظَـتِ الأَعْيُـنُ

٥٢- سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمُ ... وَفِي اللَّيْلَـةِ الظَّلْمـاءِ يُفتَقَـدُ البَـدْرُ

٥٣- شَكَوْتُ وما الشَّكْوَىٰ لِمِثْلِيَ عَادَةً ... ولَكِـنْ تَفِيْـضُ العَيْنُ عِنْـدَ امتِلائِهَا

وقيل:

شَكَوْتُ وما الشَّكْوَىٰ لِمِثْلِيَ عَادَةً ... وِلَكِنْ تَفِيْـضُ النَّفْسُ عِنْدَ امتِلائِهَا

وقيل:

شَكَوْتُ وما الشَّكْوَىٰ لِمِثْلِيَ عَادَةً ... وِلَكِنْ تَفِيْضُ الكَأْسُ عِنْدَ امتِلائِهَا

٥٤- طَفَحَ السُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّىٰ إِنَّهُ مِـنْ عِظَـمِ مـا قَـدْ سَـرَّنِي أَبْـكَانِي

٥٥- ظَنَنْتُ بِهِمْ ظَنًّا جَمِيلًا فَخَيَّبُوا رَجَائِي وَمَـا كُلُّ الظُّنُـونِ تُصِيـبُ

٥٦- عَتَبْتُ علىٰ عَمْرٍو فَلَمَّا فَقَدْتُهُ وَجَرَّبْتُ أَقْوامًا بَكَيْتُ علىٰ عَمْرِو

٥٧- العَبْـدُ يُقْـرَعُ بِالعَصَـا وَالحُـرُّ تَكْفِيـهِ الإِشَـارَةْ

٥٨- أُعلِّـلُ النَّفْسَ بالآمالِ أرقُبُها مَا أَضْيَقَ العَيْشَ لَوْلا فُسْحَةُ الأَمَلِ

٥٩- فَلَـمْ أَرَ كَالأَيَّامِ لِلْمَرءِ وَاعِظًا وَلا كَصُـرُوفِ الدَّهْـرِ لِلْمَرءِ هَادِيَا

٦٠- فَمَا أَكْثَرَ الإِخْوانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ وَلَكِنَّهُـمْ فِي النَّائِبَـاتِ قَلِيـلُ

٦١- وَلَـوْ لَبِسَ الحِمَـارُ ثِيَابَ خَزٍّ لَقَـالَ النَّـاسُ يَالَـكَ مِـنْ حِمَـارِ

٦٢- فَإِنْ كانَتِ الأَجْسَامُ مِنَّا تَبَاعَدَتْ فَـإِنَّ المَدَىٰ بَيْنَ القُـلُوبِ قَـرِيبُ

٦٣- فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هذا اليَوْمِ وَلَّىٰ فَـإِنَّ غَـدًا لِنَاظِـرِهِ قَرِيـبُ

٦٤- قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِـرُ الْفَـمُ طَعْـمَ الْمَاءِ مِنْ سَـقَمِ

٦٥- قَدْ زَالَ مُلْكُ سُلَيْمانَ وَعَاوَدَهُ وَالشَّمْسُ تَنْحَطُّ فِي المَجْرَىٰ وَتَرْتَفِعُ

٦٦- قَـدْ يَجْمَـعُ المـالَ غَيْـرُ آكِلِـهِ وَيَـأْكُلُ المـالَ غَيْـرُ مَـنْ جَمَعَـهْ

٦٧- قَدْيُدْرِكُ المُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَـدْ يَكُونُ مَعَ المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

٦٨- قَدْيُدْرِكُ الشَّرَفَ الفَتَىٰ وِرِدَاؤُه خَلِـقٌ[1] وجَيْـبُ قَمِيصِـهِ مَرْقُـوعُ

(١) الخَلِق: القديم المرقَّع.

٦٩- كَشِقَّيْ مَقَصٍّ تَجَمَّعْتُمَا ... علىٰ غَيْرِ شَيْءٍ سِوىٰ التَّفْرِقَةْ

٧٠- كَعُصْفُورَةٍ فِي كَفِّ طِفْلٍ يَزُمُّها[1] ... تَذُوقُ حِياضَ المَوتِ وَالطِّفْلُ يَلعَبُ

٧١- كَالعِيسِ فِي البَيْدَاءِ يَقتُلُهَا الظَّمَا ... والماءُ فَوْقَ ظُهُورِها مَحْمُولُ

٧٢- كُلُّ المَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ علىٰ الفَتَىٰ ... فَتَهُونُ غَيْرَ شَماتَةِ الأَعْدَاءِ

٧٣- كأنّكَ مَنْ كُلِّ النُّفُوسِ مُرَكَّبٌ ... فَأَنْتَ إِلىٰ كُلِّ النُّفُوسِ حَبِيبُ

٧٤- كَالكَلْبِ إِنْ جَاعَ لم يَمْنَعْكَ بَصْبَصَةٍ[2] ... وإِنْ يَنَلْ شَبَعًا يَنْبَحْ مِنَ الأَشَرِ

٧٥- لا تَمدَحَنَّ امْرَأً حَتّىٰ تُجرِّبَهُ ... وَلا تَذُمَّنَّهُ مِنْ غَيرِ تَجْرِيبِ

٧٦- لَعَمْرُكَ ما ضَاقَتْ بِلادٌ بِأَهْلِهَا ... وَلَكِنَّ أَخْلاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ

٧٧- لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ ... فَرُبَّمَا صَحَّتِ الأَجْسامُ بالعِلَلِ

٧٨- لِلمَوتِ فِينَا سِهَامٌ غَيْرُ خاطِئَةٍ ... مَنْ فاتَهُ اليَوْمَ سَهْمٌ لَم يَفُتْهُ غَدَا

٧٩- لَيْسَ الغَبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَومِهِ ... لَكِنَّ سَيِّدَ قَومِهِ المُتَغابِي

٨٠- وَإِنَّ عَنَاءً أَنْ تُفْهِمَ جَاهِلًا ... فَيَحْسَبُ جَهْلًا أَنَّهُ مِنْكَ أَفْهَمُ

٨١- مَتىٰ يَبلُغُ البُنيانُ يَومًا تَمامَهُ ... إِذا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيرُكَ يَهْدِمُ

٨٢- ما حَكَّ جِلْدَكَ مِثْلُ ظُفْرِكَ ... فَتَوَلَّ أَنْتَ جَمِيعَ أَمْرِكْ

٨٣- مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا ... كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

---

(١) يزمُّها: أي يشدُّ عليها.

(٢) بصبصة الكلب: أي تحريك ذنبه طمعًا في شيء.

٨٤- مَنْ كانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوضِعُهُ ... فَلَيْسَ يَرفَعُهُ شَيْءٌ وَلا يَضَعُ

٨٥- مِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْشَىٰ الأباعِدَ نَفْعُهُ ... ويَشْقَىٰ بِهِ حَتَّىٰ الممَاتِ أَقارِبُهْ

٨٦- مَوْتُ النُّفُوسِ حَيَاتُها ... مَنْ شَاءَ أَنْ يَحْيَا يَمُوتْ

٨٧- المُسْتَجِيرُ بعَمْرٍو عِنْدَ كَربَتِهِ ... كالمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بالنَّارِ

٨٨- مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيهِ ... مَا لجُرْحٍ بمَيّتٍ إيلامُ

٨٩- النَّاسُ للنَّاسِ مِنْ بَدْوٍ وَحَاضِرَةٍ ... بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَم يَشْعُرُوا خَدَمُ

٩٠- هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيكَ عَفْوًا ... أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَىٰ الزَّوَالِ

٩١- مَا يُضِيرُ البَحْرَ أَمْسَىٰ زاخِرًا ... أَنْ رَمَىٰ فِيهِ غُلَامٌ بِحَجَرْ

٩٢- لَوْ كُلُّ كَلْبٍ عَوَىٰ أَلْقَمْتُهُ حَجَرًا ... لأَصْبَحَ الصَّخْرُ مِثْقَالًا بِدِينَارِ

٩٣- وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ ... فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

٩٤- وَإِذَا أَتَتكَ مَذَمَّتي مِنْ نَاقِصٍ ... فَهِيَ الشَهادَةُ لي بِأَنِّيَ كَامِلُ

٩٥- وَتَجَلُّدي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ ... أَنّي لِرَيبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ

٩٦- وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَتْ أَظفارَها ... أَلفَيْتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ

٩٧- وَعَاجِزُ الرَأيِ مِضْياعٌ لِفُرصَتِهِ ... حَتّىٰ إِذا فاتَ أَمْرٌ عاتَبَ القَدَرا

٩٨- وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ لا عِدَادَ لَهَا ... وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالقَمَرُ

٩٩- وَكَأسٍ شَرِبْتُ علىٰ لَذَّةٍ ... وَأُخْرَىٰ تَدَاوَيْتُ مِنْها بِهَا

١٠٠- وَمَا انْتِفَاعُ أَخِ الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ ... إذا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأَنْوارُ وَالظُّلَمُ

١٠١- وَمَا المَرْءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ فَفِي صَالِحِ الأَعْمَالِ نَفْسَكَ فاجْعَلِ

١٠٢- وَمَا طَلَبُ المَعِيشَةِ بِالتَمَنِّي وَلَكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ فِي الدِّلَاءِ

١٠٣- وَمَنْ يَكُنِ الغُرابُ لَهُ دَلِيلًا يَمُرُّ بِهِ عَلَىٰ جِيَفِ الكِلَابِ

١٠٤- وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيا

١٠٥- وَلَا بُدَّ مِنْ شَكْوَىٰ إِلَىٰ ذِي مُرُوءَةٍ يُوَاسِيكَ أَوْ يُسْلِيكَ أَوْ يَتَوَجَّعُ

١٠٦- وَلِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ مِنْ جِنْسِهِ حَتَّىٰ الحَدِيدُ سَطَا عَلَيْهِ المِبْرَدُ

١٠٧- وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَىٰ دَلِيلِ

١٠٨- وَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ التي كُنْتَ تَعرِفُ

١٠٩- وَمِنَ العَجائِبِ وَالعَجائِبُ جَمَّةٌ أَنْ يَلهَجَ الأَعْمَىٰ بِعَيْبِ الأَعْوَرِ

١١٠- وَمِنْ نَكَدِ الدُّنيا عَلَىٰ الحُرِّ أَنْ يَرَىٰ عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

١١١- وَكُلٌّ يَمِيلُ إِلَىٰ شَكْلِهِ كَمَيْلِ الخَنَافِسِ لِلْعَقْرَبِ

١١٢- وَكَمْ مَرَّةٍ أَتْبَعْتُكُمْ بِنَصِيحَتِي وَقَدْ يَسْتَفِيدُ البَغْضَةَ المُتَنَصَّحُ

١١٣- وَيَأْبَىٰ الَّذِي فِي القَلْبِ إِلَّا تَبَيُّنًا وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

١١٤- لا يَسْكُنُ المرْءُ فِي أَرْضٍ يُهانُ بها إِلَّا مِنَ العَجْزِ أَوْ مِنْ قِلَّةِ الحِيَلِ

١١٥- يا نَاطِحَ الجَبَلَ العَالي لِيَكْلِمَهُ أَشْفِقْ عَلَىٰ الرَّأْسِ لا تُشْفِقْ عَلَىٰ الجَبَلِ

١١٦- كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيُوهِنَها فَلَمْ يَضِرْها وَأَوْهَىٰ قَرْنَهُ الوَعِلُ

١١٧- يَبْقَى الثَّنَاءُ وَتَذْهَبُ الأَمْوَالُ وَلِكُلِّ دَهْرٍ دَوْلَةٌ وَرِجَالُ

١١٨- يُرِيكَ البَشَاشَةَ عِنْدَ اللِّقَا وَيَبْرِيكَ فِي السِّرِّ بَرْيَ القَلَمْ

١١٩- يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَىٰ مُنَاهُ وَيَأْبَىٰ اللهُ إِلَّا مَا يَشَاءُ

١٢٠- يُقْضَىٰ عَلَىٰ المَرْءِ فِي أَيَّامِ مِحْنَتِهِ حَتَّىٰ يَرَىٰ حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالحَسَنِ

شُؤُونٌ سيَاسيَّةٌ

(الدولة الأكثر غموضًا في العالم[١])

بربكم هل سمعتم من قبل بدولة عضو في الأمم المتحدة وليس لها وجود علىٰ خارطة العالم؟ وهل تصدقون أن تلك الدولة ليس فيها شعب أو سكان، وبلا أرض أو حدود؟ أليست هذه المعلومة ضربًا من ضروب المستحيل المطلق، ويرفضها العقل والمنطق؟ بل الأكثر غرابة أن تلك الدولة معترفٌ بها رسميًّا من قِبَل ٩٨ دولة، ولها في تلك الدول سفارات وتمثيل دبلوماسي، وتُقيم معها علاقات متينة، من بينها ١٦ دولة إسلامية، وتسع دول عربية.

وهل تُصدِّقون إذا علمتم أن هذه الدولة تأسَّست قبل ٩٢٧ عامًا؟ وأن لها دستورها وكيانها المستقل؟ وأن لها أيضًا ثلاثة أعلام رسمية، لكل علم استخداماته ودلالاته؟ وأن القانون الدولي ينصُّ علىٰ سيادتها؟

فما اسم تلك الدولة؟ وكيف تأسَّست؟ وأين؟ ومتىٰ؟ وهل لها مكان معروف؟ وما سِرُّ هذا الغموض الذي يكتنف نشاطاتها؟ وما هي أجندتها الحقيقية؟ وما سِرُّ قوتها واستمراريتها؟ وما حكاية سفاراتها؟ وماذا تعمل في البلدان العربية؟ ومنذ متىٰ؟

---

(١) منظمات العالم الخفي (الماسونية)، المصري، ص ١٣٠.

ما اسم تلك الدولة؟

اسمها «النظام العسكري ذو السيادة المستقلة لمالطا»، أو باللغة الانجليزية (Sovereign Military Order of Malta)، وتُختَصَر إلىٰ «سموم» أو (SMOM)، وهي فعلًا سُموم، بل إنها مُشبَّعة بالسُّم، ويطلق عليها أحيانًا «مسلك مالطا العسكري السيادي» أو «المستشارية السامية العسكرية لفرسان مالطا»، ولا علاقة لها بدولة (جزيرة مالطا) الموجودة في البحر الأبيض المتوسط، وإنْ اكتسبت اسمها عندما منحها الملك شارل الخامس ملك إسبانيا إلىٰ مجموعة من المقاتلين باسم (فرسان مالطا) في ٢٤/ ٣/ ١٥٣٠م.

متى تأسَّست؟

بدأ ظهور هذه الدولة المثيرة للجدل في عام ١٠٧٠م ببيت المقدس في فلسطين، كهيئة داعمة لرعاية مرضىٰ المسيحيين، أسَّسها بعض الإيطاليين، وعندما قامت الحروب الصليبية الأولىٰ ضدَّ الإسلام عام ١٠٩٧م، وتم الاستيلاء علىٰ القدس، أنشأ (جيرارد دي مارتيز) تنظيمًا منفصلًا أسماه (فرسان القديس يوحنا الأورشليمي)، وقد انبثقت عن الجماعة الأم الكبيرة، والمشهورة باسم «فرسان المعبد»، وهؤلاء بحكم درايتهم بأحوال فلسطين، قدَّموا للصليبيين مساعدات كبيرة في حروبهم مع المسلمين، خاصة

بعد أن تحوَّلوا إلىٰ (تنظيم عسكري للفرسان) علىٰ يد (ريموند دو بوي) الذي قام بتشكيل التنظيم علىٰ أساس عسكري مسلَّح، وذاع صيتهم بسبب نزعتهم العدوانية وقسوتهم ووحشيتهم[١].

وما زال التاريخ شاهدًا علىٰ الحملة الدموية التي قام بها «جودفروي» (Godfroi of Boullion) في العام ١٠٩٩م، عندما احتلَّ بيت المقدس، ونكَّل وقتل وهتك أعراض المسلمين، وشرب من دمائهم حتىٰ الثمالة، فالرقاب قُطِّعت، والبيوت دُمِّرت، وجثث وأشلاء المسلمين نساءً ورجالًا وأطفالًا تناثرت ونُثِرت في كل مكان[٢].

كان ذلك التنظيم القتالي ينقسم إلىٰ ثلاثة فئات :

- ✓ (فرسان العدل) وهم من طبقة النبلاء.
- ✓ (القساوسة) الذين يقومون علىٰ تلبية الاحتياجات الروحية للتنظيم.

---

(١) «فرسان «الإسبتارية».. ألف عام في الخدمة»، محمد فتحي النادي، موقع «إسلام أون لاين»، تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٢١م، علىٰ الرابط الآتي:
https://islamonline.net/فرسان-الإسبتارية-ألف-عام-في-الخدمة/

(٢) أثبتت الوثائق التاريخية أن الرئيس الأمريكي (جورج بوش) ينتسب إلىٰ هذا السفَّاح البشع، وقد اكتشف هذه الحقيقة التاريخية المثيرة للدهشة الدكتور فيصل شوقي، في بحثه الموسوم (السِّر المباح في أصل بوش السفَّاح)، ونُشِر البحث علىٰ شبكة بيت الجود الثقافية بتاريخ ٢/ ٣/ ٢٠٠٦م، وإن هذا السَّفاح الذي ارتكب جرائمه عام ١٠٩٩م هو الجدُّ الأقدم للرئيس الأمريكي بوش، وهذه حقيقة لا غبار عليها.

✓ (إخوان الخدمة) وهم الذين يُنفِّذون الأوامر الصادرة إليهم.

فضلًا عن المتبرعين الذين يُطلق عليهم تسمية (الجوّادين Danats)، وكانوا يساهمون بتقديم الأموال والأملاك، وبفضل عوائد هذه الأملاك، وكذلك الهبات والإعانات، أخذ نفوذ ذلك التنظيم العسكري ينمو ويتطوَّر، حتىٰ تحوَّلوا إلىٰ قوة قتالية فاعلة، لكنهم اضطروا إلىٰ الفرار من فلسطين عام ١٢٩١م؛ وذلك بعد تحرير القدس علىٰ يد صلاح الدين الأيوبي، فلجؤوا إلىٰ أوروبا، وتنقَّلوا بين جزيرتي قبرص ورودس، ثم استقروا في جزيرة مالطا عام ١٥٣٠م، ومنها استمدُّوا اسمهم (فرسان مالطا Knights of Malta)[١].

وقد تميَّز هذا التنظيم منذ إقامته في مالطا بعدائه الشديد للإسلام، وقرصنته لسفن المسلمين، وغاراته البحرية علىٰ سواحل المدن الليبية والتونسية في شمال أفريقيا؛ حتىٰ كوَّنوا من عمليات القرصنة والغارات الساحلية ثروات كبيرة، وتوسَّع هذا التنظيم كثيرًا تحت حماية الدولة الرومانية[٢].

(١) «حقيقة فرسان مالطا»، د. عبد الحسين شعبان، مجلة Free Media Watch، العدد ٩٣، بتاريخ ٢/ ٧/ ٢٠٠٧م.

(٢) «فرسان مالطا: كيف تسلَّلوا إلىٰ الداخل العربي؟»، منىٰ محروس، موقع «مفكرة الإسلام»، بتاريخ ١٦/ ٦/ ٢٠٠٧م.

ثم ساءت أحوالهم عام ١٧٩٨م حين غزا نابليون بونابرت جزيرة مالطا، وأجبرهم على مغادرة الجزيرة، ففقدوا ممتلكاتهم وامتيازاتهم في فرنسا وإيطاليا، ودخلوا في مرحلة الشَّتات والتفرُّق، واتَّجهت مجموعة منهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وصادف وصولهم فترة الحروب الأهلية هناك، وشهدت تلك الفترة ظهور منظمة الـ (كو كلوكس كلان Ku-Klux-Klan) الإرهابية العنصرية، التي تطالب بسيادة الرجل الأبيض، ومنع مساواة المواطنين السُّود مع البيض في الحقوق.

وتوثَّقت علاقة تنظيم (فرسان مالطا) الفارين إلى أمريكا بهذه المنظمة الإرهابية السيئة الصيت، وكانت تربطهم أهداف وأواصر عقائدية وعنصرية مشتركة، يمكن تلخيصها في ما يلي:

✓ التشابه الكبير في الطقوس الاحتفالية بين (فرسان مالطا) وعناصر منظمة (الكو كلوكس كلان)؛ إذ كانوا يرتدون ملابس بيضاء عليها صليب أحمر، ويضعون على رؤوسهم أقنعة لا يظهر منها سوى العينين والأنف والفم، ويُشعلون المشاعل النارية[1].

✓ ممارسة الاضطهاد الديني ضدَّ السُّود والآسيويين المنحدرين من بلدان كانت تَدين بالدين الإسلامي قبل نشر الحملات التبشيرية المسيحية.

(١) «سفارة بلا دولة»، محمد جمال عرفة، تقرير منشور على الشبكة الدولية في ١/ ١/ ٢٠٠٢م.

✓ ممارسة التعسُّف العنصري الظالم ضد كل الملوَّنين، وترسيخ فكرة تفوُّق الرجل الأبيض.

✓ إشاعة التطرُّف الديني الأعمىٰ، والمطالبة بالعودة إلىٰ أصول الدين المسيحي، والمذهب الكاثوليكي تحديدًا.

أما الذين طُرِدوا من جزيرة مالطا ولجؤوا إلىٰ أوروبا، فقد انتهىٰ بهم المطاف بالحصول علىٰ مقرٍّ لهم في روما عام ١٨٣٤م[١].

واختفت أخبار (فرسان مالطا) منذ الحرب العالمية الأولىٰ، ولم يعُد يُسمَع عنهم بعدما استقرَّ بعضهم في روما، والبعض الآخر في أمريكا، ولكنهم عادوا إلىٰ الظهور من جديد بقوة، منذ تسعينات القرن الماضي، عندما حشدت الولايات المتحدة الأمريكية كل قدراتها العسكرية والاقتصادية لمحاربة الإسلام والمسلمين كعدوٍّ جديدٍ بدل الشيوعية التي اندثرت، وإعلانها عن حتمية خوض ما أسمته بـ(صراع الحضارات)، فأدرجت تنظيمات دولة (فرسان مالطا) ضمن الأساليب التعبوية، التي يمكن توظيفها ضدَّ العرب والمسلمين في ذلك الصراع المحتوم، والاستفادة من احتماء (فرسان مالطا) خلف ستار المقاصد الخيرية والأهداف الإنسانية النبيلة.

والتحقت بالتنظيم في فترات زمنية لاحقة كل من المحافل

(١) «دولة اعتبارية بلا أرض أو حكومة أو شعب»، جورج صبري، جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٠٣٨٥، بتاريخ ٥/ ٥/ ٢٠٠٧م.

الماسونية وعصابات المافيا ومرتزقة بلاك ووتر (Black Water)، وهذا ما أكَّدت عليه الصحف والمنشورات العالمية المشار إليها إزاء كل فئة من الفئات التي ارتبطت عقائديًّا وتعبويًّا بتنظيم دولة (فرسان مالطا)، وهي حسب الترتيب الزمني:

- ✓ المحافل الماسونية (Masonic Lodges).
- ✓ عصابات المافيا (Mafia Families)[١].
- ✓ مرتزقة جيش البلاك ووتر (Black Water)[٢].

---

(١) تقرير باللغة الانجليزية بعنوان (Catholicism, Freemasonry and Knights of Malta)، من إعداد: (Former Catholic)، منشور على الشبكة الدولية في مواقع عدة.
يُراجع أيضًا المقابلة التلفزيونية التي بثَّتها على الهواء قناة (A&E) الأوروبية بتاريخ ١٥/ ٤/ ٢٠٠٠م، والتي أجراها المذيع (Rick Martin) مع الباحث (Phelps) بعنوان (The Most Powerful Man In The World)، ونشرتها على الشبكة الدولية، ويمكن مراجعة الحوار الساخن الذي تناول موضوع الحكومة الخفية وعلاقتها بفرسان مالطا.

(٢) جيش بوش الخفي (Bush's Shadow Army)، جيرمي سكاهيل (Jeremy Scahill)، نُشِر في جريدة الأمة (The Nation) الأمريكية بتاريخ ٢/ ٤/ ٢٠٠٧م، وأعادت نشره معظم المواقع الأجنبية على الشبكة الدولية.
يُراجع أيضًا الكاتب (Lt Col P) وموضوعه المنشور على صفحات موقع (OPFOR) بعنوان (September 11th 1565) بتاريخ ١٠/ ٩/ ٢٠٠٦م.
يُنظر أيضًا: ما هي حقيقة بلاك ووتر أو فرسان مالطا؟، حامد بن عبد الله العلي، منشور على موقع «جديد الإسلام» بتاريخ ٦/ ١٠/ ٢٠٠٧م.

أين يقع مقرها؟

يقع المقرُّ الرئيسي لحكومة (فرسان مالطا) حاليًا في العاصمة الإيطالية، ويحمل اسم (مقر مالطا)، وهي دولة ذات سيادة بموجب أحكام القانون الدولي، ولها حكومتها الخاصة، ولها صفة مراقب دائم في المنظمات الدولية، مثل منظمة الأمم المتحدة، ولهذه الحكومة ٤٧ جمعية وطنية، موزَّعة على خمس قارات، وتقوم بإصدار جوازات السفر، وطباعة الطوابع المعترف بها دوليًّا، ولها عدة سفارات حول العالم، وعملتها هي الـ (سوكو)[١].

مَن هو رئيسها؟

يُلقَّب رئيس الحكومة بـ (السيد الأعظم The Grand Master)، وهو الآن الأمير (أندرو بيرتي Andrew Willoughby Ninian Bertie)[٢]، وهو من أصل بريطاني، من مواليد لندن ١٥/ ٥/ ١٩٢٩م، وينحدر من القبائل الأنجلو ساكسونية القديمة، وتخرَّج من جامعة أكسفورد، وتخصَّص في التاريخ الحديث للكنائس المسيحية، وحصل من جامعة لندن على شهادة عليا في

(١) «دولة اعتبارية بلا أرض أو حكومة أو شعب»، مصدر سابق.

(٢) الرئيس الحالي هو الأمير Giacomo dalla Torre del Tempio di Sanguinetto، وهو الرئيس الثمانون بعد أن استقال سلفه الأمير Matthew Festing، وقد تم تنصيب الأخير في ٢/ ٥/ ٢٠١٨م، وهو إيطالي من مواليد روما.

الدراسات الشرقية والأفريقية، وخدم في الجيش البريطاني للفترة من ١٩٤٨م إلىٰ ١٩٥٠م ضمن صفوف الحرس الإسكتلندي، والتحق بصفوف (فرسان مالطا) عام ١٩٥٦م، وحصل علىٰ الحزام الأسود بالجودو، وتم انتخابه رئيسًا للحكومة مدىٰ الحياة عام ١٩٨٨م، وهو الرئيس الثامن والسبعون لحكومة (فرسان مالطا)، ويعاونه أربعة من كبار المسؤولين، وقرابة عشرين من المسؤولين الآخرين، ويعامل دوليًّا كرئيس دولة بكل الصلاحيات والحصانات الدبلوماسية التي يتمتع بها الرؤساء في العالم[١].

مَن هم أبرز أعضائها؟[٢]

نذكر منهم علىٰ سبيل المثال لا الحصر كلًّا من:

- ✓ بريسكوت بوش (Prescott Bush)[٣]، وهو جد الرئيس الأمريكي (جورج بوش الأب).
- ✓ توني بلير (Tony Blair)، رئيس وزراء بريطانيا السابق.

---

(١) راجع موقع حكومة (فرسان مالطا) علىٰ الشبكة الدولية (www.orderofmalta.org).

(٢) Blackwater: Knights of Malta in Iraq، نُشِر في جريدة (Aftermath News) بتاريخ ١/ ١٠/ ٢٠٠٧م.

(٣) بدأ حياته سارقًا للآثار الهندية، ثم كتب لاحقًا كتابًا عن النبي محمد ﷺ، ضمَّنه الكثير من الاتهامات الباطلة عن الإسلام، واصفًا ديننا الحنيف بالدين الدموي. يُنظر: حامد بن عبد الله العلي، مصدر سابق.

✓ تيد كينـدي (Ted Kennedy)، شـقيق الرئيـس الأمريكـي الأسـبق (جـون كينـدي)، وهـو سـيناتور سـابق في مجلـس الشـيوخ الأمريكـي.

✓ ديفـد روكفلـر (David Rockefeller)، وهـو أغنـىٰ رجـل في العالـم.

✓ جوزيـف كينـدي (Joseph Kennedy)، سـيناتور أمريكـي، والشـقيق الثـاني للرئيـس الأمريكـي الأسـبق (جـون كينـدي).

✓ رونالـد ريغـان (Ronald Reagan)، الرئيـس الأمريكـي الأسـبق.

✓ خوان كارلوس (Juan Carlos)، الملك السابق لإسبانيا.

✓ الملكة إليزابيث (Queen Elizabeth II)، ملكة بريطانيا.

✓ جـورج بـوش الابـن (George H.W Bush)، الرئيـس الأمريكـي الأسـبق.

✓ فاليـري جيسـكار ديسـتان (Giscard d'Estaing)، الرئيـس الفرنسـي الأسـبق.

✓ إيـرك برنـس (Erik Prince)، مؤسـس منظمـة بـلاك ووتـر، وتضـم أكبـر وأحـدث جيـش للمرتزقـة في العالـم.

✓ جوزيـف شـميتز (Joseph Schmitz)، وعمـل مفتِّشًـا عامًّـا في وزارة الدفـاع الأمريكيـة (البنتاغـون)، برتبـة جنـرال متقاعـد، وكان

مديـرًا لمنظمـة بـلاك ووتـر العالميـة.

وهـذا غيـضٌ مـن فيـض، ويمكـن التعـرُّف علـىٰ المزيـد مـن أعضـاء الحكومـة من خـلال مراجعـة المصـدر المشـار إليه في الأعلىٰ (Aftermath News)، وهـي صحيفـة أمريكيـة يوميـة، وجميـع الأعضـاء مـن صانعـي القـرارات الدوليـة، ومـن ديناصـورات السـيرك السياسـي العالمـي، ومـن المتحكِّميـن برسـم السياسـة العالميـة في عمـوم كوكـب الأرض، ممـا يُؤكِّـد لنـا حقيقـة النوايـا الخبيثـة لحكومـة (فرسـان مالطـا) في بسـط نفوذهـا، وترسـيخ هيمنتهـا، والتصـرُّف بمقـدرات العالـم، والتلاعـب بمصير الجنس البشـري علىٰ مزاجهـا، وكيفمـا تشـاء، وهـذا يعنـي أيضًـا أن الدولـة، أو المنظمـة السِّـرية التـي كانـت تعمـل في الخفـاء، وتديـر العالـم بأسـره قـد بـدأت تظهـر للعيـان.

ما علاقتها بالبلدان العربية؟

في شـارع المدينـة المنـورة بوسـط العاصمـة الأردنيـة عمَّـان افتتحـت حكومـة (فرسـان مالطـا) سـفارة لهـا في الأردن، ويحمـل سـفيرها وليـد الخـازن، وهـو لبنـاني الأصـل، صفـة مستشـار عسـكري، ومـن الملفـت للنظـر، أن هـذه الرتبـة العسـكرية تتنـافىٰ تمامًـا مـع مـا تتظاهـر بـه حكومـة (فرسـان مالطـا)، بأنهـا تسـعىٰ لتقديـم مسـاعداتها

كجمعية خيرية تعمل في المجال الطبي[١]، وسفارة (فرسان مالطا) في الأردن هي- إلىٰ اليوم- أحدث سفارة دبلوماسية لتلك الدولة في البلدان العربية.

أما أقدم سفاراتها في الوطن العربي فتقع في وسط القاهرة، داخل مبنىٰ قديم في ٢٠ شارع هدىٰ شعراوي، وباشرت عملها هناك منذ عام ١٩٨٠م، ويُذكَر أن رئيس وزراء الاحتلال الإسرائيلي (شمعون بيريز) طلب من مصر الاعتراف بدولة (فرسان مالطا)، ومما يثير الدهشة هنا أن دولة العدو الإسرائيلي نفسها ليست فيها سفارة لفرسان مالطا.

وما بين تاريخ افتتاح أحدث وأقدم سفارة في الوطن العربي، انتشرت سفارات دولة (فرسان مالطا) من لبنان إلىٰ المغرب، مرورًا بالسودان والصومال وإرتيريا وموريتانيا وجزر القمر.

ما علاقتها بالماسونية؟

الماسونية لُغزٌ غامضٌ يتصل بالدين والسياسة والحرب والتاريخ، وعالَمٌ من الأسرار والاتهامات، وغابة من التعقيدات المبهمة، حيث المكر والتمويه والإرهاب، تُنسَب إليها جميع

(١) لماذا سفارة «منظمة فرسان مالطا» في الأردن؟، إبراهيم علوش، نشر علىٰ صفحات موقع الصوت العربي الحر.

المؤامرات والدسائس الخبيثة، فقد كانت وراء قيام الحروب الصليبية، ولعبت دورًا كبيرًا في إثارة الحروب العالمية، وإقامة الكيان الصهيوني، ومناهضة الدين الإسلامي الحنيف.

كانت تسمىٰ (القوة الخفية)، لكنها سُمِّيت منذ بضعة قرون بالماسونية، لتتَّخذ من نقابة البنائين ستارًا تلوذ به، ولافتة تعمل من خلالها، وارتبطت نشأتها بمَن كانوا يُعرفون بـ (فرسان المعبد)، التي كانت عبارة عن قوة عسكرية مبنية علىٰ أساسٍ ديني متعصِّب، وفرسان المعبد، كما هو معروف، هي الجماعة الأم التي انبثق عنها تنظيم (فرسان مالطا)، والمنظمتان وجهان لعملة واحدة، وتهدفان إلىٰ التسلُّط علىٰ العالم بشتىٰ الوسائل، وتسعيان إلىٰ استقطاب زعماء الدول العظمىٰ وكبار رجال المال والسياسة، بالاتجاه الذي يجعل منهما قوة هائلة تستحوذ علىٰ كافة عناصر صناعة القرارات الدولية، فترىٰ أقطاب السياسة العالمية موزَّعين منذ زمن بعيد بين هاتين المنظمتين:

وعلىٰ سبيل المثال لا الحصر، نستعرض هنا أبرز أعضاء الماسونية التي تمثل الوجه الآخر لفرسان مالطا، وهم[1]:

(١) الماسونية العالمية، هارون يحيىٰ، منشور علىٰ الشبكة الدولية. يُنظر أيضًا: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع الجهني، دار الندوة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٣م. وينبغي أن نلفت الانتباه هنا إلىٰ أن معظم مالكي نوادي كرة القدم في أوروبا (الدرجة الأولىٰ والممتازة) ينتمون أيضًا إلىٰ

- ✓ رئيس وزراء بريطانيا الأسبق (ونستن تشرشل).
- ✓ الرئيس الأمريكي الأسبق (جورج واشنطن).
- ✓ الرئيس الأمريكي الأسبق (روزفلت).
- ✓ الرئيس الأمريكي الأسبق (جيرالد فورد).
- ✓ الرئيس الأمريكي الأسبق (جورج بوش الأب).
- ✓ الرئيس الفرنسي السابق (جاك شيراك).
- ✓ كارل ماركس.
- ✓ رئيس وزراء كندا الأسبق (روبرت بوردون).
- ✓ رئيس وزراء كندا الأسبق (جون ماكدونالد).
- ✓ مؤسِّس منظمة الصليب الأحمر (أونري جون دونانت).
- ✓ الرئيس الأمريكي الأسبق (جورج بوش الابن).

والأخير عضو أيضًا في (فرسان مالطا)، وهذا يُفسِّر عمق العلاقة الروحية بين المنظمتين، إذ لا فرق في الانتماء لأيٍّ منهما، فالمنظمتان تنبعان من زريبة واحدة، وتصبَّان في مستنقعٍ واحد، ويُفسِّر أيضًا الحقد الكامن وراء إطلاق البيت الأبيض تصريحات

منظمة (فرسان مالطا).

دينية توراتية بين الحين والآخر، عبر مكتب جورج بوش الابن، المعروف بمواقفه اليمينية المسيحية حول السياسة الأمريكية العدوانية في الشرق الأوسط.

ولم تكن كلمات جورج بوش الابن عن (الحروب الصليبية) مجرد زلة لسان، كما لم يكن وصفه للمقاومة اللبنانية في الجنوب بـ (الفاشية الإسلامية) مجرد هفوة أو سوء تعبير، بل كان جزءًا من التفكير التنظيمي المتطرِّف الذي يؤمن به وينتمي إليه هذا الزعيم الأمريكي المتهوِّر، وجاءت تصريحاته منسجمة مع المشاعر المكبوتة لفرسان مالطا ولعناصر الحركة الماسونية، ومطابقة لعقيدة التطرُّف الكاثوليكي الغربي المتعصِّب[1].

ولم يكن جورج بوش إلا مُعبِّرًا عن الوجدان الصليبي - الصهيوني، حينما قال: «إن الحرب على العراق حربٌ صليبية»، وكان لهذا الزعيم الأمريكي المجنون الدور الفاعل في إدخال تغييرات جذرية على السياقات التعبوية العسكرية، والتي لم يسبق لها مثيل من قبل، كما سنرى في الفقرة التالية.

(١) «حقيقة فرسان مالطا»، مصدر سابق.

التغيُّرات والتحوُّلات الجذرية في السياقات التعبوية الحربية

شهد العالم تحوُّلًا جذريًّا في السياقات العسكرية التقليدية على يد الإدارة الأمريكية، بعد قيامها بإشراك جيوش المرتزقة في غزواتها ومغامراتها، وصارت جيوش المرتزقة تعرف اليوم بـ (الشركات العسكرية الخاصة) أو (الشركات الأمنية) أو (شركات الحماية)، وعرف العالم لأول مرة اصطلاح (خصخصة الحروب والعمليات العسكرية)، فظهرت إلىٰ واجهة الأحداث العالمية مجاميع متخصِّصة في خوض المعارك الساخنة، ومعزَّزة بكافة الأسلحة والمعدات الثقيلة وفوق الثقيلة، وبتشجيع البنتاغون، ومباركة دولة (فرسان مالطا)، التي سارعت إلىٰ منح عناصر المرتزقة جوازات سفر تُتيح لهم حرية التنقُّل عبر القارات.

ورصد المحلِّلون انحرافًا خطيرًا في النهج السِّري القديم الذي سلكته دولة (فرسان مالطا) ومحافل الحركة الماسونية؛ تمثَّل في الخروج العلني من دهاليز التعتيم والكتمان إلىٰ فضاءات العمليات القتالية المفضوحة والسافرة، وجاءت تشكيلات جيوش المرتزقة منسجمة تمامًا مع النوايا والتطلُّعات العسكرية العدوانية الهجومية للإدارة الأمريكية، ولم تعُد أمريكا تكترث كثيرًا بعدم كفاية أعداد الجنود والمحاربين، ولم تعُد بحاجة إلىٰ قوانين للتجنيد الإلزامي، كما لم تعُد بحاجة إلىٰ التأييد الشعبي المحلي العام، ولم تعُد بحاجة إلىٰ دعم الدول الأخرىٰ ومساندتها في

خوض حروبها العدوانية، واستغنت نهائيًّا عن تشكيل التحالفات الدولية، بعد أن وجدت ضالتها في استخدام جيوش المرتزقة.

واستعانت أمريكا لأول مرة بالشركات العسكرية الخاصة، وعناصرها المعبأة بالشَّر، في بناء إستراتيجيتها العسكرية الهجومية الجديدة، وباتت شركات المرتزقة البديل المناسب لتجاوز كل العقبات التي قد تقف في وجه المخطَّطات الأمريكية التوسُّعية غير المحدودة[١].

وفيما يلي أبرز نقاط التحوُّل في السياقات التعبوية التقليدية[٢]:

✓ أصبحت قرارات الحروب الدولية من أيسر وأبسط القرارات، خصوصًا إذا كانت الدولة الغازية تمتلك ما يكفي من الأموال لتغطية نفقات جيوش المرتزقة التي ستتكفَّل بجميع العمليات الحربية.

✓ أصبحت الحروب والانقلابات العسكرية استثمارًا تنفرد به شركات متخصِّصة بخوض الحروب علىٰ النطاق الدولي، وتمتلك من العَتاد ما لا تمتلكه دول كثيرة مجتمعة.

(١) «فرسان مالطا: كيف تسلَّلوا إلىٰ الداخل العربي؟»، مصدر سابق.
(٢) «فرسان مالطا - جيش الظل الأمريكي»، إبراهيم شاهين، منشور علىٰ موقع «نبأ - وكالة الأخبار الإسلامية».

✓ لم تعُد الحروب الدولية مقتصرة على الدفاع عن الوطن، بل من أجل الاستحواذ على الثروات، وتحقيق المزيد من المكاسب المالية.

✓ أصبح واضحًا للشعوب أن هناك مَن يُدير كوكب الأرض في الخفاء، ويتستَّر وراء مظاهر خادعة ومشبَّعة بالحقد والكراهية المنبعثة من رماد الحروب القديمة، فظهرت علينا جيوش قادمة من العصور الوسطى تحمل في أجندتها أهدافًا انتقامية سوداء، وتسعى إلى نشر الصهيونية - الصليبية في العالم.

حقائق مذهلة، وتساؤلات مشروعة، وإجابات غامضة

ما زالت دولة (فرسان مالطا) تعترف بتاريخها الصليبي، وتتفاخر بالحروب التي خاضتها ضدَّ المسلمين، وتتباهى بغاراتها على مدنهم الساحلية، وقرصنتها على أساطيلهم البحرية، وبالتالي فإن خطر الفرسان الحالي ليس أقل خطرًا من الماضي، ويكفي أن نعرف أن منظمات الإغاثة التبشيرية المرتبطة بدولة (فرسان مالطا)، والمرسلة إلى المناطق الملتهبة في جنوب السودان، كانت وما تزال عنصر الدعم للمتمرِّدين على الحكومات العربية، وهم الذين فصلوا إقليم (تيمور) عن إندونيسيا الإسلامية، والأخطر أن دورهم التبشيري لا ينفصل عن الدور الطبي، والأموال لا تدفع بغير مقابل تبشيري، أو بغير غايات انتقامية.

ويعتقد المحللّون أن هذه الأفكار الكاثوليكية المتطرفة تُشكِّل خطرًا كبيرًا علىٰ الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، مثلما هي خطرٌ علىٰ الأمة الإسلامية، فقد كانوا يقتلون أتباع الكنيسة الشرقية، ويخطفون أطفالهم ويعيدون تعميدهم علىٰ أُسُسْ كاثوليكية، ثم إن دولة (فرسان مالطا) متَّهمة بدور مشبوه تحدَّث عنه إعلاميون وباحثون كبار؛ إذ قال كلٌّ من كبير الصحفيين العرب (محمد حسنين هيكل) والمفكر الأمريكي (جيرمي سكاهيل) بأن معظم الجنود المرتزقة في العراق يحملون جنسية دولة (فرسان مالطا)، مما أكسبهم مسحة تبريرية لا سابق لها، وإن قادة منظمة بلاك ووتر، وعلىٰ رأسهم الجنرال المتقاعد (جوزيف شميتز)، يتبجَّحون كثيرًا بعضويتهم في مسلك (فرسان مالطا) العسكري السيادي، التي كان وما يزال هدفها المعلَن هو إعادة بناء هيكل سليمان في القدس، وفي مكان المسجد الأقصىٰ.

وإذا كانت دولة (فرسان مالطا) تدَّعي بأنها منظمة خيرية، فما الغاية من التمثيل الدبلوماسي الواسع في هذا العدد الكبير من البلدان؟ وما هو المغزىٰ من منح بعض السفراء درجة (مستشار عسكري)[1]؟ وهل يعني ذلك مثلاً أن باستطاعة (نمور التاميل) أو (الخمير الحُمْر) أو (الجيش الإيرلندي السِّري) أن يُقدِّموا طلبًا

(١) «بلاك ووتر أو المياه السوداء»، عبيدلي العبيدلي، صحيفة الوسط، العدد الصادر في ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٧م.

للحصول على سفارات لهم تتمتَّع بالحصانة الدبلوماسية أيضًا؟

ولو راجعنا السجل التاريخي لدولة أو منظمة (فرسان مالطا) سنستخلص منه حقائق مدهشة تجعل الشبهات تحوم حول ماهية الأهداف الحقيقية التي تسعى إليها هذه الدولة:

✓ أن هذه الدولة (المنظمة) كانت قادرة على التحوُّل الكامل من العمل الخيري إلى العمل العسكري وبالعكس، وحسب الظروف السياسية الملائمة.

✓ أنها مارست العمل العسكري ضدَّ المدن الإسلامية، وضدَّ الملاحة العربية منذ قرون.

✓ تمتَّعت بدعم ورعاية واعتراف الدول الأوروبية للقيام بغاراتها المتواصلة على السواحل الإسلامية في شمال أفريقيا، وسفن المسلمين في البحر الأبيض المتوسط.

✓ تستبطن بداخلها آلية عقائدية وتنظيمية متطرِّفة تجعلها قادرة على مواصلة نشاطاتها إلى فترات زمنية طويلة.

✓ أن وجودها الحالي في السودان وتيمور الشرقية بصفتها الخيرية يأتي في سياق دعم الحركات الانفصالية هناك[1].

✓ أنها تقوم بدورين متناقضين في آنٍ واحد؛ فهي منظمة تقوم

(١) «لماذا سفارة «منظمة فرسان مالطا» في الأردن؟»، مصدر سابق.

بـدور دولـة، وهـي أيضًـا دولـة تحمـل ملامـح منظمـة.

✓ أنهـا آخـر الفلـول الصليبيـة المسـيطرة علـىٰ صناعـة القـرار في أمريـكا[١].

(١) «فرسان مالطا أكبر مليشيا أمريكية لإبادة المسلمين»، موقع «المختصر» للأخبار، نُشِر بتاريخ ١٣/ ٥/ ٢٠٠٧م.

فَتْوَى شَرْعِيَّةٌ

الجمعيات الأهلية التي يقصد بها تجميع الأموال لأسباب مختلفة منتشرة كثيرا وهي تعاون تقل به كلفة التمويل الخارجي، لكن هناك خلاف بين الناس في فهم زكاة الأموال في هذه الجمعيات لأن بعض الناس يحصل على أمواله أول الجمعية، وبعضهم آخر الجمعية وبعضهم في الوسط، فكيف تكون زكاة النقود مع هذا النوع من الجمعيات.

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

لا يخلو حال من يدخل في هذا التعاقد (الجمعيات) من أحد أمرين:

أولا: أن يكون اشتراكه في الجمعية للوفاء بحق مطالب به شرعا أو قضاءً كالدَّين، أو للوفاء بضرورة يقتضيها العيش الكريم لابن آدم المكرَّم كمسكن أو مركب بقدر حاجته ومن يعول حسب الظروف التي عليها مُجْتَمَعُه، وحكم الأموال المتجمعة للوفاء بما ذُكِر أن لا تجب فيها زكاة؛ لأن الحاجات المذكورةَ أسبابٌ يستحق بها المسلم الزكاة إن لم يستطع توفيرها حقيقة لذا فمن باب أولى أن لا يلزمه هو أن يزكيها إن جمعها للوفاء بما تقدم، والزكاة إنفاقٌ يُؤمر بأن يكون من العفو ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾، قال ابن بركة مفسرًا العفو: "ما فضل من القوت، فإن كان من أصحاب الذهب والفضة أمسك لقوته وعياله ويَصَّدَّقُ بالباقي، وإن كان ممن يعمل بيده أمسك قوت يومه وأنفق الباقي"، ويؤكده حديث عمر قال: "كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، فكانت للنبي ﷺ خاصة، فكان ينفق على أهله نفقة سنة، وما بقي يجعله في الكراع والسلاح؛ عدة في سبيل الله"، والوفاء بما ذكر من واجبات الدولة إن لم يستطع إنسان توفيره بجهده وفي صحيح الحديث مرفوعا: "من ولي لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا، أو ليست له زوجة فليتزوج، أو ليس له خادم فليتخذ خادما، أو ليست له دابة فليتخذ دابة"، ومنه فالمال المشغول بحاجة أصلية كالمعدوم في وعاء الزكاة؛ إذ المكلف مأمور بالبدء بنفسه ثم من يعول.

ثانيا: أن يكون متوسِّعا بالدخول في الجمعية فلا يضع ماله فيها لأجل ضرورة أو للوفاء بمطلوب شرعا بل لمطلق الادخار أو زيادة موجوداته المالية أو التوسع في مشاريعه الاستثمارية، والجمعية مأمونةُ الظنُّ فيها أن يقبض ماله في موعده، وحكم هذا المال أنه كمَال في يده يجب أن يزكّى كلَّ عام ما دام لم يقبضه بعدُ وقد حال عليه حولٌ قمريٌ بالغًا النصاب، وإن كان له مال نقدي سوى ما في الجمعية يزكيه من قبلُ في موعدٍ محددٍ فيضم مالَه الذي لم يقبضه من الجمعية إليه ويزكيهما معا زكاة مال واحد في موعد الأسبق منهما حولا، ووجوب الزكاة هنا لأن المال الزكوي موجودٌ في يده حكما فلا يُسْقِطُ إدخاله الجمعية لأجل تنميته حقًا واجبًا للفقراء، مثله ما نصَّ عليه الفقهاء ويقتضيه الدليل وجوب تزكية أموال المضاربة والودائع الاستثمارية لأجل مع أنها ليست في اليد حقيقة.

أخيرا: من قبض مالا من الجمعية أكثر مما دفع مدينٌ لبقية الأفراد بالفرق بين ما قبض وما دفع إن كان ما قبضه أكثر مما دفع، ولا زكاة عليه إلا أن يكون له مال نقدي سواه يزكيه من قبلُ فإنه يحسم منه مقدار الدَّين الذي عليه لأفراد الجمعية ويزكي ما بقي إن بلغ النصاب، والله الموفق للخير وهو الأعلم بالصواب.

د. ماجد بن محمد الكندي

أمين فتوى

٦ شوال ١٤٤٠هـ الموافق ٢٠١٩/٦/١٠م

عُظماءُ ومشاهيرُ

(الإمام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب القرشي[١])

هو الإمام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب بن الرُّحَيْل القرشي- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن آبائه-، فهو ينحدر من أسرة آل الرُّحَيْل العلمية؛ فجدُّ أبيه محبوب بن الرُّحَيْل المكنىٰ بأبي سفيان كان من أقطاب العلم، ومن أركان أهل الحق والاستقامة، وجدُّه محمد بن محبوب انتهت إليه رئاسة العلم في عصره، وكان مرجع أهل عمان في العلم، وأبوه الشيخ عبد الله بن محمد بن محبوب من العلماء الراسخين، وعمه العلامة بشير بن محمد بن محبوب صاحب كتاب الخزانة قيل في سبعين سِفْرًا.

منزلته العلمية

كان الإمام سعيد بن عبد الله أعلم أهل زمانه، وشهد له بذلك العلماء المعاصرون له؛ فالشيخ محمد بن رَوْح الكندي رحمه الله يقول عنه: «كان الإمام سعيد بن عبد الله أعلم الجماعة الذين كانوا معه»، وقال عنه أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر رحمه الله: «لا نعلم في أئمة المسلمين كلهم بعمان أفضل

(١) كتبه الشيخ سعيد بن ناصر بن عبد الله الناعبي القاروتي.

من سعيد بن عبد الله إلا أن يكون الجلندىٰ بن مسعود»، وقال الشيخ أبو إبراهيم محمد بن سعيد بن أبي بكر الإزكوي رحمه الله: «إن الإمام سعيد بن عبد الله أفضل من الإمام الجلندىٰ بن مسعود»، وقال أبو سعيد الكدمي رحمه الله: «وما أحقَّه بذلك؛ فإنه كان إمامًا عادلًا صحيح الإمامة، من أهل الاستقامة، عالِمًا في زمانه، لعلَّه يفوق في العلم أهل زمانه أو كثيرًا منهم»، ثم قال أبو سعيد رضوان الله عليه: «فتظاهرتْ الأمور معنا من أهل الدار ممن ينتحل نحلة الحق علىٰ الإجماع علىٰ ولاية الإمام سعيد بن عبد الله رحمه الله، وهو ولينا وإمامنا إن شاء الله»، فكفىٰ بشهادات هؤلاء الأعلام الثقات حجة ودليلًا علىٰ ثبوت إمامة هذا الإمام الجليل، وعلىٰ غزارة علمه ورسوخ قدمه في الفضل والتقىٰ والورع.

توليه إمامة المسلمين

بويع بالإمامة في عام ثلاثمائة وعشرين، أي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، وكان في عصره أحد الجبابرة اسمه يوسف بن وجيه[1]، وكان باغيًا جائرًا علىٰ أهل عمان، فعقد علماء عمان

(١) بنو وجيه: أسرة حكمت في صحار بعمان من قِبَل العباسيين بين عامَيْ ٣١٦هـ إلىٰ ٣٥٥هـ، قضىٰ عليهم القرامطة، وكان حكم يوسف بن وجيه لمدة ١٥ عامًا، من ٣١٦هـ - ٩٢٩م إلىٰ ٣٣٢هـ - ٩٤٤م.

للإمام سعيد بن عبد الله بيعة دفاع، كما بيَّن ذلك الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر، فقام هذا الإمام بالحق ثائرًا علىٰ الظلم والبغي والجور، فأخمدها وأظهر العدل والحق.

وكان من ورع الإمام سعيد بن عبد الله أن حلقة حديد من رزة[1] باب فُقِدَت من معسكر يوسف بن وجيه، فشكوا إلىٰ الإمام رحمه الله، فبحث عنها حتىٰ وجدها عند أحد رعيته فحبسه، ثم كتب كتابًا إلىٰ يوسف بن وجيه يُبيِّن فيه منهجه، وأنه علىٰ منهاج السلف، فجاء في الكتاب: «من الإمام سعيد بن عبد الله ومَن قِبَله من المسلمين، إلىٰ يوسف بن وجيه، وإن في شأننا وشأنك لعجب لحلقة حديد في رِزِّ باب، اتُّهم بهذا رجل من الرعية عندنا أنه قلعها من معسكر أصحابك بنزوىٰ، فحبسنا الذي اتُّهم بها لأننا نستحلُّ حبس أهل التهم علىٰ قدر استحقاقهم في حكم المسلمين، وقلنا للناس جهرًا علىٰ رؤوس الملأ إن أموال أهل القبلة علينا حرام كحرمة أموالنا علىٰ بعضنا بعض، وحَجَرنا علىٰ الناس التعرُّض لأشيائكم ما دقَّ منها وما جلَّ».

خطابٌ رفيعٌ وأسلوبٌ راقٍ من هذا الإمام العظيم يُبيِّن فيه حرمة استحلال أموال أهل القبلة من المسلمين، فما أحوج المسلمين اليوم حُكَّامًا ومحكومين إلىٰ هذا الخطاب العظيم،

(١) جاء في معجم الرائد (ص ٣٩١): «١- رزة: حديدة يدخل فيها القفل. ٢- رزة: حديدة تثبت في الأرض أو الحائط لربط الدواب».

والتعامل مع المخالف تحت منهج الإسلام الذي دعا إليه القرآن، ثم يقول له في خطاب آخر: «وحاربناك محاربة المسلمين لأهل البغي حتىٰ تفيءَ إلىٰ أمر الله، لا نهاية لذلك عندنا، أو تفنىٰ أرواحنا أو روحك علىٰ إحياء الحق وإماتة الباطل إن شاء الله، ولا نستحلُّ منك مالًا، ولا نَسبي لك عيالًا، ولا ننسف لك دارًا، ولا نعقر لك نخلًا، ولا نعضد لك شجرًا، ولا نستحلُّ منك حرامًا، ولا نُجهِز علىٰ جريح، ولا نقتل مواليًا تائبًا، ولا نقتل مستأمَنًا إلينا، ولا نغنم ماله، ولا نَدَع أحدًا يتعدَّىٰ عليه بنفس ولا مال، فإن فعل ذلك أحدٌ بأحدٍ أخذنا له الحق إذا صحَّ معنا».

خطاب من إمام عادل يراقب الله في شرعه: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور:٣٧]، فأين الذين يزعمون أنهم يُجسِّدون الإسلام، وأنهم يقيمون دولة إسلامية من هذا المنهج الإسلامي الصحيح؟ فهذا أنموذجٌ واحدٌ من نماذج العدل والتعامل الحسن والإحسان عند أئمة عمان مع مخالفيهم في الرأي والفكر، فكلُّ مَن اطَّلع علىٰ سيرة أهل عمان سيجد نماذج العدل والمساواة وتطبيق منهج الإسلام في تعاملهم مع غيرهم، ومع مَن ناوأهم وحاربهم، وفي سلمهم وحربهم.

فُنُونُ الدَّعْوَة إلى الله[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ من استمرَّت دعوته بعد وفاته إلىٰ أجلٍ معلوم عند رب العالمين، وبعد: فرسالتي هذه إلىٰ الدعاة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، سواء أكان ذلك بالقول أو العمل أو القلم وغيره، وهي مجموعة من العوامل التي لها آثار إيجابية في الدعوة إلىٰ الله، منها ما هو نفسيٌّ ومنها ما هو اجتماعيٌّ وغيرها، وهذه العوامل هي:

١- إخلاص النية لله سبحانه في الدعوة إليه، وهذا أهمُّ عامل، وهو الذي بغيره تفشل بقية العوامل، وتذهب هباءً منثورًا، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

٢- عُمُرُ المدعوِّ: هناك اختلافٌ من مَدْعُوٍّ إلىٰ آخر من حيث السِّنِّ؛ مما يترتب عليه الاختلاف في الأسلوب الدعوي للداعية بما يناسب عُمُر المدعوِّ.

٣- اهتمامات المدعوِّ: وذلك بإدخال الدعوة في اهتماماته

(١) «أحوال المدعوين في الدعوة التي يجب علىٰ الداعية إلىٰ الله التنبه لها»، خالد البواردي، نُشِر علىٰ موقع «مداد» بتاريخ ٨/ ١١/ ٢٠٠٧م، تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٢١م علىٰ الرابط الآتي:
http://midad.com/article/212337

لكي تكون مؤثرة؛ وذلك بمراعاة الحاجات العضوية والنفسية والاجتماعية والإيمانية للمدعوِّ.

٤- وقت الدعوة: وذلك بتحرِّي الوقت المناسب للدعوة، سواء كان ذلك للداعي أو المدعوِّ.

٥- مكان المدعوِّ: وذلك بأن يكون في مكان مناسب [يصلُح لممارسة الدعوة معه].

٦- الرفق بالمدعوِّ: عندما وجَّه الله سبحانه موسىٰ وهارون عليهما السلام في دعوتهما إلىٰ فرعون، قال سبحانه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]. لاحظ أيها الحبيب أن المدعوَّ هنا هو الطاغية فرعون، ومع ذلك طلب المولىٰ سبحانه الرفق معه، يقول ﷺ: ((إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))[(١)].

٧- التواضع مع المدعويين: فالتواضع مُوجِب للرفعة، ومُحبَّبٌ لدىٰ الناس، وفي هذا يقول ﷺ: ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ))[(٢)]، فالتواضع لله مرتبطٌ بالتواضع للناس.

٨- التخطيط للدعوة: إن بعض الدعاة لا تنجح دعوتهم إلىٰ الله

(١) صحيح مسلم (حديث رقم: ٢٥٩٤، ج ٤، ص ٢٠٠٤) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.
(٢) مسند الإمام أحمد (حديث رقم: ٩٠٠٨، ج ١٤، ص ٥٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لأنه لم يُخطِّط لها جيِّدًا، ولو تذكَّر بداية دعوة الرسول ﷺ إلىٰ الإسلام لعرف التخطيط السليم.

٩- التجديد في الأساليب: وذلك بعدم الاقتصار علىٰ أسلوب واحد يملُّ منه [الداعية والمدعوُّ]، حتىٰ لو خطر أن يجرب عدة أساليب، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا))[1].

١٠- اختيار الأسلوب المناسب المؤثِّر في المدعوِّ لدعوته، وذلك في أساليب القرآن لدعوة الأقوام وهي: الترهيب والترغيب والقصة والمثل وذكر أحوال الأمم السابقة وذكر بعض حقائق الغيب. إن الداعية الناجح هو الذي يثير في السامعين أو القارئين مشاعر الانتباه والاهتمام. ومن أساليب المصطفىٰ ﷺ:

- ✓ أسلوب الحوار.
- ✓ التعليم بالقدوة العلمية.
- ✓ انتهاز المناسبات: ومن ذلك أنه قَدِم علىٰ الرسول ﷺ سَبْيٌ، ((فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ

(١) صحيح البخاري (حديث رقم: ٦٨، ج ١، ص ٢٥).

عَلَىٰ أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»))[1]، فتأملوا أيها الإخوة والأخوات استغلال الرسول ﷺ هذا الموقف في بيان عِظَم رحمة الله سبحانه.

١١- تشويق المدعوِّ وتحفيزه بأسلوب عرض المعلومة عليه، أي التحدُّث إليه؛ فالقرآن في بعض الأحيان يطرح المعلومات بأسلوب التحفيز مثل السؤال؛ وذلك أن تكون المعلومة علىٰ هيئة سؤال مثل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٦٣-٦٤].

وقد دلَّت الدراسات النفسية الحديثة علىٰ أن الإنسان محبٌّ للاستطلاع بطبعه. يقول أحد علماء النفس: «كلما كانت الأسئلة غير متوقَّعة وغير مألوفة، كانت أكثر نجاحًا في التأثير والجذب».

١٢- الاقتصاد في القول بقَدْر الحاجة وذلك لكي لا تملَّ الأنفس من الكلام الطويل. قال ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ لَنْ تُطِيقُوا- أَوْ لَنْ تَفْعَلُوا- كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا، وَأَبْشِرُوا))[2].

١٣- ترتيب الأولويات في الدعوة: الأهمُّ فالمهم، ومن ذلك

(١) صحيح البخاري (حديث رقم: ٥٩٩٩، ج ٨، ص ٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) سنن أبي داود (حديث رقم: ١٠٩٦، ج ٢، ص ٣١٨) من حديث الحكم بن حزن الكلفي رضي الله عنه.

مثلًا ألا تنصح الشخص الذي لا يصلي بترك شرب الدخان، وتترك الأهم وهو الصلاة، إنما تبدأ بالنصح في الصلاة أولًا، ولكن لا أُعمِّم هذا القول علىٰ جميع المنصوحين، إنما علىٰ حسب حال المدعوِّ، والأصل كما ذكرنا الأهمُّ فالمهم، يقول ﷺ: ((الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ))[1].

١٤ - إنزال الناس منازلهم، وما ذلك إلا لتأليف قلوبهم.

(١) صحيح مسلم (حديث رقم: ٣٥، ج ١، ص ٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

شخصيةُ العَدَد

(محمد جلال كشك[١])

يُعد الصحفي المصري محمد جلال كشك من أبرز المفكرين في عصره، فكان له صوته، وقلمه، وكلمته التي ناضل بها ضدَّ حكم الملك فاروق الأول، وواصل نضاله ضد الرئيس المصري جمال عبد الناصر حينها. وقد خاض تجارب عديدة، وسلك منعطفات فكرية حرجة، إذ إنه انتقل من انتمائه للفكر الشيوعي، مرتحلًا إلىٰ صدارة الفكر الإسلامي، فأثرىٰ المكتبات العربية بمؤلفاته التي كتبها وحَوَتْ شتىٰ المجالات والمعارف.

(١) «محمد جلال كشك.. خصم الملكية والناصرية بمصر»، مع بعض التصرُّف، نُشِر علىٰ موقع «قناة الجزيرة» بتاريخ ١٧/ ١٢/ ٢٠١٧م، تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٢١م علىٰ الرابط:
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2017/12/17/محمد-جلال-كشك-خصم-الملكية-والنصارية

وُلد المفكر محمد جلال كشك بصعيد مصر، في بلدة المراغة في محافظة سوهاج عام ١٩٢٨م، وقد كان والده قاضيًا في المحاكم الشرعية المصرية. تلقىٰ تعليمه بالقاهرة في المرحلتين الإعدادية والثانوية، ليلتحق في عام ١٩٤٧م بجامعة فؤاد الأول التي هي الآن جامعة القاهرة، إلىٰ أن تخرج منها بشهادة إجازة الليسانس من كلية التجارة.

انتمىٰ المفكر محمد جلال كشك في وقت مبكر من عمره إلىٰ التيار الشيوعي في مصر، وكان مؤثرًا وناشطًا من نشطاء الفكر الشيوعي، حتىٰ أنه شارك في تأسيس (تنظيم الراية الشيوعي)، وهو حزبٌ شيوعي من بين عشرين حزبًا شيوعيًّا في مصر، وطالب بحقوق الشعب في حريته ومشاركته في صنع القرار، وناهَضَ الْمَلَكية.

استمر نضاله بالرغم من التحوُّل المهم في مساره الفكري، عندما نشب بينه وبين رفاقه الشيوعيين خلافٌ حول النضال المسلَّح ضد الإنجليز، تخلَّىٰ حينها عن الفكر الشيوعي لَمَّا تبيَّن له خيانة الشيوعيين للفكر العربي بمعارضتهم للوحدة العربية.

وانتصر جلال كشك لفكر النضال والمقاومة، حتىٰ أنه سُجن مرات عدة في عهد الملك فاروق بتهمة التحريض علىٰ إسقاط حكمه، وفي عهد جمال عبد الناصر أيضًا، ولم يثنِه ذلك عن مواصلة روح النضال، وشنَّ هجومًا شرسًا في مقالاته ضد

الفكـر الشـيوعي ومبادئـه، وأخـذ يُبيِّـن زيفهـم، واعتبـرت حكومـة الاتحـاد السـوفيتي تلـك المقـالات مسـيئةً للعلاقـات بيـن القاهـرة وموسـكو، فاسـتجابت الحكومـة المصريـة لمطالـب موسـكو ومنعتـه مـن ممارسـة العمـل الصحفي لثـلاث سـنوات متتاليـة، ممـا اضطـره لمغـادرة القاهـرة متجهًـا إلـىٰ بيـروت التـي أقـام وعمِـل فيهـا حتـىٰ انـدلاع الحـرب الأهليـة اللبنانيـة، ليغادرهـا متجهًـا إلـىٰ الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وهنـاك عـزَّز صلتـه بالفكـر الإسـلامي، وعـزَّز مبادئـه وقِيَمـه التـي آمـن بهـا، معبِّـرًا عـن ندمـه علـىٰ الكتـب التـي ألَّفهـا في تمجيـد مبـادئ الشـيوعية والدفـاع عنهـا، عازيًـا ذلـك لجهلـه- حينهـا- بالإسـلام ومبادئـه، ونـادىٰ بمقاومـة التآمـر اليهـودي العالمـي بالجهـاد واسـتكمال مُقوِّمـات الحضـارة الإسـلامية، مقاومًـا للغـزو الفكـري المتسـلِّط، ولـكل ديكتاتـور وطاغيـة.

يُعـدُّ محمـد جـلال كشـك ذا بصيـرة يقظـة في قراءتـه لمجريـات التاريـخ وحاضـره، مـع انتمـاءٍ للثقافـة الإسـلامية، وفهـمٍ مُعمَّـقٍ للنمـوذج الإسـلامي وللنقـاط التـي تميـزه عـن النمـوذج الغربـي، وكان واسـعَ الاطـلاع، قـويَّ الحُجَّـة والدليـل، منافحًـا عـن فكـره ومبادئـه بـكل بسـالة، فقـد تصـدَّىٰ لرمـوز الثقافـة والصحافـة المصريـة في عصـره، ومنهـم محمـد حسـنين هيـكل، الـذي كان بمنزلـة شـيخ الصحافـة والثقافـة العربيـة في زمانـه، فتصـدَّىٰ لـه علـىٰ الملأ، واسـتفزَّه حتـىٰ يواجهـه في المحكمـة، لكـن «هيـكل» لـم يواجـه جـلال كشـك،

وإنما كان يدعو تلاميذه، ويدعمهم لمواجهة مؤلفات محمد جلال كشك وكتاباته.

في مطلع الخمسينيات من القرن العشرين بدأ محمد جلال كشك مسيرته الصحفية؛ فعمل في عددٍ من الصحف المصرية الرائدة في زمانه، ومنها صحيفة الجمهورية و «روز اليوسف» وغيرها، حتىٰ عند هجرته إلىٰ لبنان عمل لسنوات في مجلة الأحداث اللبنانية. كان محمد جلال كشك ذا أسلوبٍ متفرِّدٍ في الكتابة، والسرد، والاستدلال، كما كان ذا اطلاعٍ واسعٍ، وإلمامٍ شامل بأطراف الموضوع وجنباته، حتىٰ أنه لم يكن يسوق دعوىٰ إلا بالدليل الموثَّق، دون أن يغفل البعد الروحاني في كتاباته المنبثقة عن حرقته وشغفه وإيمانه، فكتاباته انحازت لأمته عن حرفية ويقين وبحث ودراسة.

للكاتب محمد جلال كشك نحو خمسة كتب ألفها أثناء انتمائه للفكر الشيوعي، وله ثلاثة عشر كتابًا في الفكر الإسلامي تتضمَّن دراساته وبحوثه ومبادئه، ونذكر من هذه الكتب ما يأتي:

الجنازة حارَّة

الحقُّ المرُّ

الحوار خراب الديار

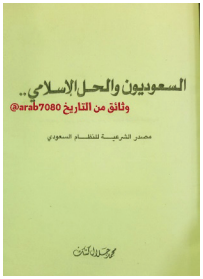

السعوديون والحلُّ الإسلامي

الشيخ محمد الغزالي بين النقد العاتب والمدح الشامت

الغزو الفكري

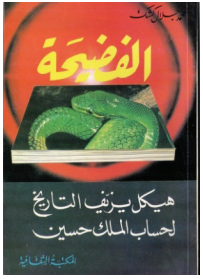

الفضيحة

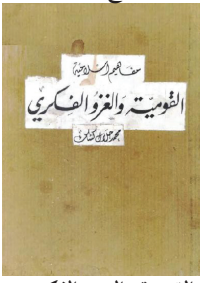

القومية والغزو الفكري

الماركسية والغزو الفكري

المسلمون والروس

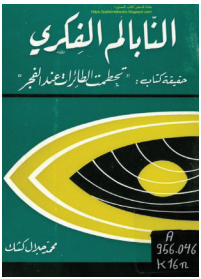

النابالم الفكري

الناصريون قادمون

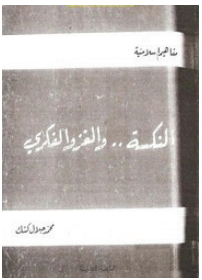

النكسة والغزو الفكري

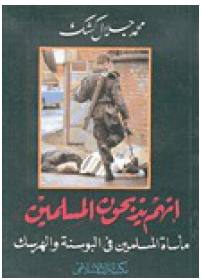

إنهم يذبحون المسلمين

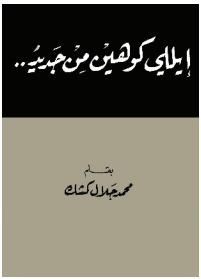

إيلي كوهين من جديد

أخطر من النكسة

ألا في الفتنة سقطوا

ثورة يوليو الأمريكية

جهالات عصر التنوير

حوار في أنقرة

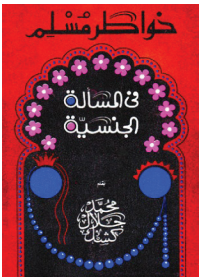

خواطر مسلم

خواطر مسلم

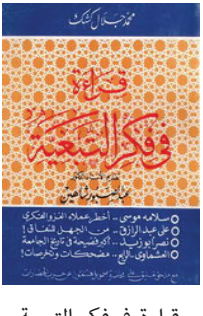

قراءة في فكر التبعية

قيام وسقوط إمبراطورية النفط

كلام لمصر

كلمتي للمغفلين

لمحات من حطين

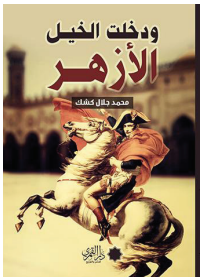

ودخلت الخير الأزهر

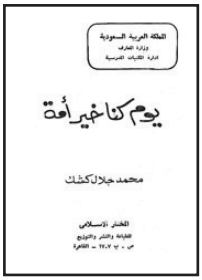

يوم كنا أمة

وهنالك كتبٌ عديدة أخرى لكشك منها:

- ✓ الثورة الفلسطينية
- ✓ الجبهات الشعبية
- ✓ الجهاد ثورتنا الدائمة
- ✓ الطريق إلىٰ مجتمع عصري
- ✓ دراسة في فكر منحل
- ✓ روسي وأمريكي في اليمن
- ✓ شرف المهنة
- ✓ طريق المسلمين للثورة الصناعية
- ✓ قانون الأحزاب

- ✓ قضية الصحراء المغربية
- ✓ ماذا يريد الشعب المصري؟
- ✓ ماذا يريد الطلبة المصريون؟
- ✓ مصريون لا طوائف
- ✓ مغربية في الصحراء (وقيل الحمد لله)
- ✓ منابع ثورة مايو

في عام ١٩٩٣م كان في بثٍّ تلفزيوني، عبر محطة التلفزة العربية الأمريكية يناظر نصر حامد أبو زيد، أحد المنحازين للغزو الفكري ومنهجية التغريب للوطن العربي، يناظره ليُثبِتَ له أن التقدُّمية ما هي إلا موقف من حركة التاريخ، فليست شعارات فضفاضة يصدح بها لإسكات المعترضين أو إخمادهم، فأصابت الكاتب والمفكر المصري محمد جلال كشك حينها سكتة قلبية، فارق الحياة علىٰ إثرها، وقد أوصىٰ بأن تُدفَن معه ثلاثة كتب من مؤلفاته، وهي: «وقيل الحمد لله» «ودخلت الخيل الأزهر» و «السعوديون والحلُّ الإسلامي».

طَرِيقُكَ إلى النَّجَاحِ

الفرق بين النجاح و الفشل:

١) الناجح يفكر في الحل، والفاشل يفكر في المشكلة.

٢) الناجح لا تنضب أفكاره، والفاشل لا تنضب أعذاره.

٣) الناجح يساعد الآخرين، والفاشل يتوقَّع المساعدة من الآخرين.

٤) الناجح يرىٰ حلًّا لكلِّ مشكلة، والفاشل يرىٰ مشكلةً في كل حلٍّ .

٥) الناجح يقول: الحلُّ صعب لكنه ممكن، والفاشل يقول: الحلُّ ممكن لكنه صعب.

٦) الناجح يعتبر الإنجاز التزامًا يُلبِّيه، والفاشل لا يرىٰ في الإنجاز أكثر من وعد يُعطيه.

٧) الناجح لديه أحلام يُحققها، والفاشل لديه أوهام وأضغاث أحلام يُبدِّدها.

٨) الناجح يقول: عامل الناس كما تحب أن يعاملوك، والفاشل يقول: اخدع الناس قبل أن يخدعوك.

٩) الناجح يرىٰ في العمل أمل، والفاشل يرىٰ في العمل ألم.

١٠) الناجح ينظر إلىٰ المستقبل ويتطلَّع إلىٰ ما هو ممكن، والفاشل ينظر إلىٰ الماضي ويتطلَّع إلىٰ ما هو مستحيل.

١١) الناجح يختار ما يقول، والفاشل يقول ما يختار.

١٢) الناجح يناقش بقوة وبلغة لطيفة، والفاشل يناقش بضعف وبلغة فظَّة.

١٣) الناجح يتمسَّك بالقِيَم ويتنازل عن الصغائر، والفاشل يتشبَّث بالصغائر ويتنازل عن القِيَم.

١٤) الناجح يصنع الأحداث، والفاشل تصنعه الأحداث.

مُسَابَقَاتٌ وَأَلْغَازٌ

أسئلة ثقافية عامة[١]

١- خطيب رسول الله ﷺ وخطيب الإسلام، اختاره الرسول عندما جاء وفد بني تميم ليخاطبهم، شهد مع الرسول ﷺ غزوة أُحُدٍ وما بعدها. فمَن هذا الصحابي؟

٢- ماذا تُسمىٰ المرأة التي تفقد ولدها؟

٣- معركة وقعت بين المسلمين والروم، وانتصر فيها القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي، فما اسمها؟

٤- مَن هي زوجة الرسول ﷺ التي عُرِفت بالصوامة القوامة؟

٥- مَن هو مؤلِّف كتاب «نثار الجوهر»؟

٦- مَن هو الصحابي الذي كان جبريل عليه السلام يأتي في صورته، وكان من أجمل الناس؟

٧- كان الصحابة رضي الله عنهم في إحدىٰ الغزوات يضعون الخِرَقْ علىٰ أقدامهم، فما اسم هذه الغزوة؟

٨- مَن هو زوج الصحابية أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما؟

---

(١) الإجابات في صفحة ١٩٣.

٩- مَن هو قائد معركة بلاط الشهداء؟

١٠- مَن هم الثلاثة الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك، ونزلت فيهم آيات في سورة التوبة؟

ألغاز[١]

١- مَن هو الذي يرىٰ عدوَّه وصديقَه بعينٍ واحدة؟

٢- بلادٌ أرضها بلا سكان، وجبالها بلا أشجار، وأنهارها بلا مياه، فأين توجد؟

٣- ما هو الشيء الذي يزن قنطارًا ولا يحمل مسمارًا؟

٤- هل كلمة (موسىٰ) اسم منقوص أم اسم مقصور؟

٥- ما درجة قرابة طفل من والده الحقيقي إذا لم يكن هذا الطفل ابنه؟

٦- عَدَدٌ مؤلَّفٌ من رقمين مجموعهما ١٢، والآحاد منهما يساوي ضِعْفَيْ العشرات، فما هو العدد؟

٧- ما هي العبادة التي إذا فعلتها، لم يفعلها أحدٌ غيرك في العالم كله حتىٰ تنتهي منها، فإذا انتهيت منها فإنه يستطيع غيرك فعلها، ولا يتمكَّن اثنان من فعل هذه العبادة في الوقت نفسه؟

---

(١) فكِّر جيِّدًا، والإجابات في صفحة ١٩٣.

٨- أوحىٰ الله إليه وليس من الإنس ولا من الجن، فما هو؟

٩- ماذا يُطلق علىٰ الأوائل الآتية: أول اللبن، أول النهار، أول الليل، أول الجيش، أول الصباح، أول الشيب، أول الشُّرب، أول الشباب.

١٠- خمسة أشخاص لهم علاقة بجريمة قتل، وجميع هذه الأدلة والقرائن ستساعدك علىٰ معرفة المذنب والضحية:

✓ شخصٌ واحدٌ من الخمسة هو المذنب، وشخصٌ آخر هو الضحية.

✓ «دان» كان يركض يوم أمس مع أحد الأبرياء في ماراثون تابع لمدينة نيويورك.

✓ كان «مايك» يعمل مزارعًا قبل أن ينتقل إلىٰ المدينة.

✓ «جيف» هو خبير استشاري في أعمال الحاسب الآلي، وكان يُرتب لضبط إعدادات الحاسب الآلي الخاص بـ «بَن» في الأسبوع المقبل.

✓ تم إزالة ساق المذنب الشهر الماضي.

✓ لقد التقىٰ كلٌّ من «بَن» و «جاك» لأول مرة منذ ستة أشهر.

✓ يعيش «جاك» في عزلة منذ حدوث الواقعة.

- ✓ «بَـن» و «جيـف» اجتمعـا معًـا علـىٰ بنـاء وتطويـر أحـدث حواسـيبهما.
- ✓ المذنب هو شقيق «جاك»، فلقد نشآ معًا في سياتل.

والمطلوب تحديد اسم المذنب والضحية.

عِبْرةٌ وَعِظَةٌ

بحسب تقارير منظمة الصحة العالمية فإنه ينتحر كل عام أكثر من ٧٠٠ ألف شخص، حتىٰ صار الانتحار رابع سبب للوفاة عند الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و ١٩ عامًا، ورغم أن ٧٧٪ من حالات الانتحار تحدث في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل، غير أن الكثير من الشخصيات البارزة في العالم تُنهي حياتها بالانتحار، أو تُقدِم علىٰ محاولات- وأحيانًا محاولات عدة- للانتحار، وفيما يلي نماذج لذلك[1]:

✓ إرنست همنغواي، كاتب وصحفي أمريكي فائز بجائزة نوبل للآداب، انتحر عام ١٩٦١م بطلقة نارية في الرأس.

✓ أدولف هتلر، قائد ألمانيا النازية، انتحر بعد ظهر ٣٠ أبريل ١٩٤٥م حين أطلق النار علىٰ نفسه.

✓ إسماعيل أدهم، كاتب مصري، كان من الكُتَّاب المسلمين ثم ألحد، انتحر مساء ٢٣ يوليو ١٩٤٠م، ووُجِدَتْ جثته طافية علىٰ مياه شاطئ البحر المتوسط، وعثرت الشرطة في معطفه علىٰ

(١) «قائمة أشهر المنتحرين»، موقع «ويكيبيديا العربية»، تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٢١م علىٰ الرابط الآتي:
https://ar.wikipedia.org/wiki/قائمة_أشهر_المنتحرين

كتاب منه إلىٰ رئيس النيابة يخبره بأنه انتحر لزهده في الحياة وكراهيته لها، وأنه يوصي بعدم دفن جثته في مقبرة المسلمين ويطلب بإحراقها.

✓ آرت أكورد، ممثل أمريكي وبطل روديو، انتحر عام ١٩٣١م بابتلاع السم.

✓ روبرت آدمز، الابن، عضو الكونغرس من ولاية بنسلفانيا، أطلق عام ١٩٠٦م الرصاص علىٰ نفسه.

✓ سيرجي أكروميف، مشير الاتحاد السوفيتي، انتحر عام ١٩٩١م معلقًا.

✓ ليندرو عالم، سياسي أرجنتيني، مؤسس الاتحاد المدني الراديكالي، انتحر عام ١٨٩٦م برصاصة في الرأس.

✓ الأمير ألفريد من أدنبره، عضو في العائلة المالكة البريطانية، انتحر عام ١٨٩٩م برصاصة.

✓ ناديجدا أيلوويفا، زوجة جوزيف ستالين الروسية، انتحرت عام ١٩٣٢م برصاصة.

✓ أندرياس بادر، هو أحد قادة جماعة الجيش الأحمر الألمانية، انتحر عام ١٩٧٧م بإطلاق عيار ناري.

✓ خوسيه مانويل بلماسيدا، رئيس شيلي، انتحر عام ١٨٩١م بأعيرة نارية.

✓ تايرا نو توموموري، جنرال ياباني، أميرال وولي العهد للتيرا، انتحرت عام ١١٨٥م بالغرق.

✓ يوتاكا تانياما، عالم رياضيات ياباني، انتحر عام ١٩٥٨م.

✓ بال تيلكي، رئيس وزراء مملكة المجر، انتحر عام ١٩٤١م بأعيرة نارية.

✓ تيوديروس الثاني، إمبراطور إثيوبيا، انتحر عام ١٨٦٨م بالرصاص.

✓ جاك ثاير، الناجي من تيتانيك، انتحر عام ١٩٤٥م بقطع معصميه.

✓ آلان تورينج، عالم رياضيات إنجليزي، عالم منطق، عالم علوم الحاسوب، انتحر عام ١٩٥٤م بأكل تفاحة عليها السيانيد.

✓ جوزيف غوبلز وزير الدعاية السياسية في عهد أدولف هتلر، في عام ١٩٤٨م خرج هو وزوجته إلىٰ الحديقة وأطلقوا علىٰ أنفسهم الرصاص، ثم أطلق شويجرمان- مساعد غوبلز الخاص- عدة طلقات علىٰ جثة غوبلز، في عملية تشويه متعمَّدة للجثة حتىٰ لا يتم التعرف عليها، ثم تم صب البنزين علىٰ جثة غوبلز وزوجته، تم حرقها جزئيًا، ولم يتم دفنها.

✓ الشاعر اللبناني خليل حاوي، فبعدما سمع وهو في منفاه في أستراليا بخبر اجتياح الجيش الإسرائيلي لجنوب لبنان، وحصاره

لبيروت عام ١٩٨٢م، أصابه حزن عميق، وساده القنوط، فقرر الانتحار لإنهاء حياة العذاب التي كان يعانيها، فأطلق الرصاص علىٰ نفسه.

✓ ديبندار بيكرام شاه ولي عهد مملكة نيبال، في ١ يونيو ٢٠٠١م أطلقَ الرصاص علىٰ عائلته، وقتل تسعة منهم ثم انتحرَ، وقد قيل إن ذلك بسبب اختياره الزواج من فتاة لم تحظَ بقبول العائلة.

✓ روبن ويليامز، ممثل وكوميدي أمريكي حاصل علىٰ جائزة الأوسكار، قرَّر في الساعات الأولىٰ لفجر الاثنين الحادي عشر من أغسطس من عام ٢٠١٤م وضع حدٍّ لحياته عن طريق الانتحار، فقام أولًا بقطع شريان يده اليسرىٰ عند الرسغ بسكين من طراز صغير يتم وضعه في الجيب عادة، إلا أن عمليته لم تنجح، فلجأ بعدها إلىٰ شنق نفسه بحزام بنطلون لفَّه حول عنقه ومعصمه، وكان الحزام ملطَّخًا بالدماء نتيجة محاولته الأولىٰ الفاشلة.

✓ الروائية فرجينيا وولف حيث أخذت طريقها في البحر ووضعت حجرًا ثقيلًا في ملابسها، وألقت نفسها في أحد الأنهار ولم تكتشف جثتها إلا بعد ثلاثة أيام، وكانت قد تركت لزوجها رسالة تقول فيها: «سأفعل ما أراه أفضل».

صَهْيُونِيَّةٌ وَصَلِيبِيَّةٌ

(ذئاب الحبشة تنهش الإسلام[١])

تُفتن أمة عن دينها لترتدَّ عنه بالجوع والتشريد والحديد والنار، ودون أن يُسمع لها أنين، أو تُشهد لها عَبرة، أو يُسمح لأحدٍ من المسلمين في أنحاء الدنيا بكلمة عطفٍ فضلًا عن صيحة زجر، وصرخة إنذار وتألُّم.

...

نأسف إذ ننقل إليكم ما قاله «إمبراطور الحبشة» في «الكونجرس الأمريكي» في أثناء زيارته للولايات المتحدة منذ سنوات عندما سُئِل عن أهدافه وبرامجه لنهضة بلاده قال: «إنَّ أهم الأهداف التي نسعىٰ إليها هو توحيد الدين واللغة في بلادنا، وبدون ذلك لا يمكن أن نحقِّق شيئًا من التقدُّم»، ولما سُئِل عن المسلمين قال: «نعم.. توجد هناك أقلية مسلمة في الجنوب (في إقليم هَرَر) اعتنقت الإسلام بتأثير الأجانب، وقد وضعنا لها برامج منذ اثني عشر عامًا، فلا يمضي وقتٌ طويل إلا وقد عادت إلىٰ حظيرة دين آبائها».

...

(١) كفاح دين، محمد الغزالي، ص ٥٢.

فإلىٰ أيِّ مدىٰ يمكنكم التنبُّؤ بما قد يصيبنا في المستقبل إذا كانت هذه هي إرادة الإمبراطور الممتلئ بروح العداء والمقت والكراهية للإسلام؟ والذي يجعل من هذا كله وسيلة لدعم سلطانه في نفوس المسيحيين، واكتساب احترامهم ومحبتهم «كحامي حمىٰ المسيحية» و «منقذ الصليب المقدَّس».

...

والواقع أنَّ محاربة الإسلام والمسلمين في الحبشة لم تبدأ في عهد «هيلاسلاسي»، بل تمتد جذورها إلىٰ زمن بعيد حيث كان الصراع مستمرًّا بين «هَرَر» معقل الإسلام في ذلك الجزء من إفريقيا، وبين الحبشة المسيحية.

...

وكانت البرتغال إحدىٰ الدول الاستعمارية التي كانت تطمع من وقت طويل في احتلال «هَرَر» لولا فشل جميع محاولاتها، ولم تكن هناك وسيلة إلا استغلال العداء التاريخي والديني في نفوس الأمهريين ضد الهرريين، فحملتهم بذلك علىٰ إثارة حرب كانت هي ممولته تمويلًا هائلًا، فسقطت أقدم مدينة في شرق إفريقيا، وأكثرها مدنية، وأكبر معقل من معاقل الإسلام فيها.

...

وهنا بدأ الصراع بين كلٍّ من بريطانيا وفرنسا اللتين رأتا في

البرتغال منافسًا خطيرًا، فعملتا بجميع الوسائل حتىٰ أزاحتاها عن الميدان، ووقعتا معاهدة مع الإمبراطور «منليك» تتعهَّدان له فيها بإقامة إمبراطورية تشمل جميع الممالك الإسلامية التي لا بُدَّ من سقوطها بعد سقوط «هَرَر» - ذات المكانة العظيمة في نفوس المسلمين - وتعترفان له بمملكة «هَرَر»، وبذلك أحلَّتاه من الاتفاقية الهررية الأمهرية.

...

وأدركت فرنسا أن أهم شيء يجب القضاء عليه هو اللغة العربية والحروف العربية اللتان ذاقت منهما الكثير فيما استعمرته من الأراضي، فأوعزت إلىٰ الإمبراطور بفتح باب الهجرة الإجبارية للمسيحيين من ناحية، واستعملت نفوذها من ناحية أخرىٰ في التقليل من مكاتب القرآن، في الوقت الذي فتحت فيه مكاتب تبشيرية ومستشفيات ومدارس، ونشرت دعايات باللُّغة الحبشية في الكتب والمنشورات وغيرها.

وزحف جيش المهاجرين من الشمال، ووقعت القرىٰ الهررية تحت أفظع نوع من الإقطاع، ونظام التبعية، وصار الناس عبيدًا بكل ما في هذه الكلمة من معنىٰ، وأرغم الإقطاعيون سكان القرىٰ والفلاحين الذين يعيشون في أراضيهم علىٰ حضور القُدَّاس وحمل صليب خشبي علىٰ رؤوسهم كل يوم أحد كنوع من إظهار الولاء لسادتهم!! وكانت القيود والسياط هما اللغة

الوحيدة التي يُخاطَب بها أولئك الفلاحون المساكين، ونزلت إلىٰ ميدان التبشير البروتستانتيةُ مع الأرثوذكسية التي كانت تساعدها الحكومة باضطهاد المسلم حتىٰ يلجأ إلىٰ التنصُّر.

...

ودار الزمن، وعجلة الإقطاع لا تكفُّ عن السَّحق والدَّق، فاستولىٰ «هيلاسلاسي» علىٰ العرش، وكان أول ما فعله هو التخلُّص من الزعماء الهرريين الذين كانوا لا يزالون يطالبون بحقهم في الجلاء وإعادة ممتلكاتهم وأراضيهم، فسادت موجة من الجرائم الغامضة والخطف والاغتيال حتىٰ كادت العاصمة تخلو من إنسان يُفكِّر في أمته وغده، بعد أن تركز عليها الاضطهاد بكافة أنواعه؛ باعتبارها مقرًّا لخلاصة الطبقة الوطنية والمثقفة لجميع القبائل في ريف هَرَر، غير أنه- بالرغم من ذلك الاضطهاد والاستبداد، وانتزاع الأراضي وتجويع الناس، وكبت حرياتهم- لم يستطيعوا قتل الروح الوطنية في الشعب تمامًا.

ولم تكفَّ أصابع المبشرين الفرنسيين- الذين كانوا مدرسين علىٰ حساب الحكومة- من الكيد للغة العربية بغية محوها، بيد أنهم فوجئوا بالغزو الإيطالي بعد أن كادت محاولاتهم تنجح نوعًا ما، واستولىٰ الإيطاليون علىٰ الحبشة في أواخر ١٩٣٥م، وبذلك توقَّف أدنأ برنامج بُيِّتَ لشرق إفريقيا، وكان ذلك الاحتلال ضربة قاضية لفرنسا وتلميذتها، فتحطَّمت السلاسل والقيود التي كان

يرسُف فيها المسلمون في معظم الحالات؛ باعتبارهم الطبقة العاملة التي عليها أن تدفع الضرائب والجباية والعشور، إلىٰ غير ذلك من وسائل السلب والنهب، وكان يُخوِّل الإقطاعي أن يحكم بنفسه علىٰ أيِّ فرد تحت إمرته، ويُقيِّد بالسلاسل، ويُقضىٰ عليه بالشنق أحيانًا في بيته دون اللجوء إلىٰ الحاكم.

خرج من سجن «هَرَر» وحده أكثر من سبعة آلاف شخص، ظلَّ بعضهم مُقيَّد الرجلين واليدين علىٰ شكل قوس لمدة أكثر من عشرة وخمسة عشر عامًا، فلما أُفرج عنهم لم يعودوا إلىٰ حالتهم الطبيعية؛ إذ تشكَّل العمود الفقرىٰ بذلك الشكل القوسي، واختفت السياط الرهيبة التي يزن الواحد منها أكثر من خمسة وعشرين رطلًا، وهي عبارة عن سيور جلدية مضفورة بإحكام تتدرَّج في الدقة حتىٰ الطرف، واختفىٰ الرِّقُّ أيضًا.

وتنفَّس المسلمون الصعداء؛ إذ وقفوا لأول مرة منذ أكثر من خمسة وأربعين عامًا سواسية مع المسيحيين، وأُعيدت لهم معظم أراضيهم، وبدؤوا يشعرون بأنهم بشر، ونشطت حركة التجارة التي كانت قد ماتت تمامًا، كما افتُتحت المدارس العربية، وظهرت الصحف المحلية، وجيء بمدرسين من طرابلس الغرب.

لكن هذه الفترة لم تطل؛ فما إن أطلَّ شهر مايو من عام ١٩٤١م حتىٰ عاد الأمهريون في ركاب البريطانيين، وحدثت عدة ثورات تولَّت بريطانيا إخمادها بوحشية، وانبعث من جديد عُواء

السلاسل، وفرقعة السياط، وعادت شهوة الانتقام والسيادة أعنف من ذي قبل، كأنما يستدركون الأيام التي فاتتهم إبان الاحتلال الإيطالي، وانطلقت الكنائس معلنة لا عن التسامح والأخوة، بل عن الحقد والكراهية، وبانطلاقها انطلقت كل الأشياء التي كانت تجعل من المسلمين عبيدًا وخدمًا، فأزيحوا عن الوظائف التي كانوا يشغلونها، وسُرِّح الجند منهم والشرطة، وصُودرت الأملاك من جديد، حتىٰ تلك التي وهبتها الحكومة الإيطالية عوضًا لمن لحقتهم خسائر مادية.

...

ومنذ ذلك الحين وضع [هيلاسلاسي] خطة جديدة، بدأها بالمصادرات الجماعية للأراضي التي كان الإيطاليون قد أعادوها إلىٰ أصحابها الحقيقيين، ثم مطالبة مُلَّاك الأراضي الصغار بضرائب السنين الخمس وما قبلها، حتىٰ عجز صغار الملَّاك عن الدفع، فاستولىٰ عليها، ووزَّعها علىٰ عائلته، وهىٰ بدورها بدأت تُؤجِّرها بأجور مرتفعة للفلاحين، ثم عزل سكان المدن عن الريف، وحرَّم علىٰ أهل المدن الانتقال إلىٰ القرىٰ إلا بإذن خاص، كما عزل المديريات بعضها عن بعض، وفرض قيودًا ثقيلة علىٰ التنقُّل بينها، وذلك إلىٰ جانب الدعايات الكنسية ضدَّ المسلمين، ويتحمَّل كل مسيحي حماية الدولة.

وبذلك أصبح لكل فردٍ منهم حقَّ اتهام أيِّ مسلم لأقلِّ سبب

وتقديمه للمحاكمة، وأيُّ موظف لا يركع له المسلم في مكتبه حينما يدخل عليه يعتبر ذلك إهانة موجهة إلىٰ السلطة العليا التي تُمثِّل الذات الملكية، وجزاؤه أن يُجلَد ٤٥ جلدة- ربما لا يبقىٰ حيًّا بعد عشرين منها-، وأن يُحبَس مدةً تتراوح بين سنتين وخمس سنين، وأيُّ كلمة يقولها المسلم يمكن أن تُفسَّر تفسيرًا سياسيًّا ضد الدولة، وتُعتبر جريمة يعاقب عليها.

وبذلك تعرَّض المسلمون للونٍ جديد من الإرهاب، أساسه الظنة والاتهام، وإذا كان الحاكم والقاضي والشرطي وسائر الموظفين مسيحيين، وجميع السلطات مسيحية، فإلىٰ أيِّ مدىٰ يمكن أن يتعرَّض المسلم للظلم؟ وأيُّ إجحاف واضطهاد يقعان عليه دون أن يملك ردًّا أو يستطيع دفاعًا؟ والمحاكم دائما ملأىٰ بالمتَّهمين، والسجون غاصة بالمظلومين وكثرتهم من المسلمين، فهم دافعو الضرائب والغرامات، ومُتحمِّلو الخسارات، وهم الذين أرهقتهم الأثقال الجائرة، فعجزوا عن الدفع، فاستضافتهم السجون، وما أسهل أن تُنسَب الحوادث التي تُرتكَب ولا يُعرَف فاعلها إلىٰ المسلمين!.

...

وكانت هذه الأعمال تسير جنبًا إلىٰ جنب مع جميع أساليب الاضطهاد الوحشية؛ سواءٌ في المحاكم أو في السجون أو في المصالح الحكومية، بل في المستشفيات، والمراكز التبشيرية، وللمبشِّر الأرثوذكسي- وهو الدين الرسمي للحكومة- حقُّ مطالبة إعدام

أيِّ مسلم دون إبداء الأسباب أحيانًا، واتهامه بانتقاص الدين الرسمي أحيانًا أخرىٰ.

...

وما إن أهلَّ عام ١٩٤٨م، وقد بلغ حدًّا بعيدًا، حتىٰ هبَّت «هَرَر» تُطالب بحقوقها العادلة، ومساواة أهلها بالمسيحيين، مما اعتبرته الحكومة وقاحة وخيانة، فجرَّدت له ثلاثة ألوية من الجيش اقتحمت المدينة، وأعملت فيها السلب والنهب والتعذيب، واشترك معهم رجال الشرطة والمدنيون- وقد رُخِّص لهم باقتناء السلاح في هذه الحملة الإرهابية-، فصُودِرت المتاجر والمدارس والمزارع، وأُقيمت محاكم للتطهير، واعتُقل الآلاف، ووُضِعوا في معسكرات التعذيب، وأُخِذت أوقاف المساجد وضُمَّت إلىٰ الكنائس، وأُرسِل الزعماء إلىٰ مناطق نائية، وكان التعذيب وحشيًّا لم يقتصر علىٰ إطفاء السجائر في الأجساد، أو تعريض الناس للشمس اللافحة في حالة جوع وظمأ شديدَيْن، وقد وُضِعت علىٰ مقربة منهم براميل من الماء والطعام، أو هتك الأعراض علىٰ مرأىٰ من الأزواج والآباء، أو العبث في ظهورهم بالسياط، بل تعداه إلىٰ دقِّ «خصيات الرجال» بأعقاب البنادق، وإلىٰ قذفهم بين أسلاك شائكة تُمزِّق أجسادهم، والجنود يتلذَّذون بذلك المنظر الوحشي، واستُخدِمت كل وسائل العنف والتعذيب في الاستجواب، واستمرت هذه الأعمال الفظيعة سبعة أشهر

كاملة، قُتِل فيها مَن قُتِل، وهَلَك مَن هَلَك بسبب الجوع والبرد.

...

ومن يومها اعتُبِرت «هَرَر» منطقة مفتوحة لكل أنواع التبشير- ما عدا الإسلام، إن كان هناك تبشيرٌ إسلاميٌّ- للتعجيل بتنصيرها، وعُيِّن لها حاكم عسكريٌّ هو نفسه الذي كان يتولىٰ التحقيق والتعذيب والاستجواب في تلك الحركة، وفي «هَرَر» الآن البعثات البروتستانتية والكاثوليكية، وبرج المراقبة، والأرثوذكسية والسويدية والمنهجية، وخُصِّصت مديرية «عروس» للتبشير الأرثوذكسي ولا يقربها أحد، كما مُنِح رجال الدين هناك- مع السلطات المحلية- حقَّ الإجبار ومطاردة الأشخاص الخطرين (المشايخ).

ونتيجة لهذه الموجة من الإرهاب والنهب اللذين حدثا في «هَرَر» قلَّت موارد الناس، وهبطت حركة التجارة، وكثر العاطلون، وعجز الناس عن دفع أي ضريبة، مما سهَّل للحكومة الاستيلاء علىٰ الممتلكات والمزارع، وفي الوقت نفسه افتُتحت بعض المدارس الأمهرية المسيحية، وطُلِب من المسلمين أن يُدخِلوا أبناءهم فيها، بعد أن أُغلِقت مدارسهم الخاصة، ومن المعلوم أن المدرسين فئة منتقاة من الجزويت والهندوك المعروفين بميولهم العدائية نحو الإسلام.

وعليه فإن التحاق أبناء المسلمين بتلك المدارس نوعٌ من

الانتحار الديني والوطني، فضلًا عن البرنامج الذي يُدرَّس، والمبثوث فيه كل ما من شأنه إهانة الإسلام والمسلمين، والتعليم الديني إجباري، وليس للمسلمين حقُّ افتتاح مدارس خاصة بهم، كما أنه يُحرَّم علىٰ أي هيئة أو طائفة إسلامية أن تزور أرضهم، أو أن تتصل بهم؛ مثل ما فُعِل بالبعثة الأزهرية قبل بضع سنوات؛ إذ مُنِعت من الدخول إلىٰ منطقة «هَرَر».

...

[لاستكمال واقع المسلمين في إثيوبيا وأرتيريا وغيرها من بلدان المسلمين، ينظر كتاب «كفاح دين» للشيخ محمد الغزالي]

أَفْلاكٌ وَمجَرَّاتٌ[١]

أعلن فريق من اتحاد الجامعات العالمي للبحوث الفلكية أن «المرأة المُسَلسَلة» أو (أندروميدا)- أقرب المجرات إلينا- قد التحمت في الماضي السحيق مع مجرتين صغيرتين علىٰ الأقل، ومن المعروف أنها في طريقها للالتحام بمجرتنا «درب التبانة» خلال أربعة مليارات عام.

حفريات المجرات

من أجل الوصول لتلك النتائج لجأ الباحثون إلىٰ ما يسمىٰ بـ «علم الحفريات المجرِّي»، وهو النطاق الذي يستخدم حركات وخصائص النجوم والتجمُّعات النجمية من أجل إعادة بناء الكيفية التي تشكَّلت وتطوَّرت بها المجرات.

حيث استخدم الباحثون مرصد «كيت بيك» القومي بقُطْر

(١) «المجرة التي ستأكل مجرتنا في المستقبل.. أكلت اثنتين قبلها»، شادي عبد الحافظ، نُشِر علىٰ موقع الجزيرة.نت بتاريخ ٥/ ١٠/ ٢٠١٩م، تم الاطلاع عليه بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٢١م علىٰ الرابط الآتي:
https://www.aljazeera.net/news/science/2019/10/5/المجرة-التي-ستأكل-مجرتنا-في-المستقبل

أربعة أمتار، والتلسكوب «جيمناي» في قمة مونا كيا بهاواي، بقُطْر ثمانية أمتار، من أجل دراسة نحو ٧٧ من التجمُّعات النَّجمية الموجودة في الهالة المحيطة بمجرة «المرأة المسَلسَلة».

الهالة المجرية هي المنطقة المحيطة بالمجرة، والتي يوجد فيها الكثير من الحشود النجمية الكروية، وهي تجمُّعات تتكدَّس فيها النجوم بعدد قد يصل إلىٰ مئات الآلاف، ويهتم العلماء بهذه المنطقة من المجرات لأن أثر الأحداث المجرِّية العنيفة يستمر ظاهرًا فيها لمدة أطول من جسم المجرة نفسه.

وتبيَّن للعلماء- في الدراسة التي نُشِرت في الثاني من أكتوبر/ تشرين الأول بدورية «نيتشر»- بعد فحص تلك المنطقة في مجرة المرأة المسَلسَلة، أن هناك مجموعتين من الحشود النجمية تتخذان مسارات متعامدة، بحيث حينما أُعيد بناء المجرة من جديد عبر المحاكاة الرياضية، تبيَّن أنهما قادمتان من خارج المجرة إثر أحداث التحام سابقة.

مستقبل مجرتنا

تقع مجرة المرأة المسَلسَلة علىٰ مسافة ٢,٥ مليون سنة ضوئية من درب التبانة، وتحتوي علىٰ حوالي تريليون نجم. ولتخيُّل الفارق في المسافة والحجم بيننا وبينها: تخيَّل أن درب

التبانة هي طبق سَلَطة صغير في أحد جوانب الحجرة التي تجلس بها، هنا ستكون المرأة المسَلسَلة بحجم طبق أرز كبير للأعلىٰ قليلًا في طرف الحجرة البعيد.

وبحسب الدراسة الجديدة، فإن تلك النتائج تشير إلىٰ صحة الفرضية القائلة بأن المجرات نشأت صغيرة في البداية، ثم عبر التحامات شبيهة ساهمت بها المادة المظلمة، أصبحت أكبر في الحجم شيئًا فشيئًا. وفي الواقع، فإن مجرتنا درب التبانة قد فعلت الشيء نفسه في الماضي السحيق، وهذا هو ما أعطاها حجمها وشكلها المعاصر.

لكن ما نعرفه الآن هو أن مجرتنا تستعدُّ للالتحام بالجارة أندروميدا خلال أكثر من أربعة مليارات من السنوات، حيث ستتَّحد المجرتان معًا لصناعة مجرة بيضاوية هائلة الحجم، في مركزها ثقب أسود عملاق نتج من التحام مركزي المجرتين.

قِصَّةٌ وَعِبْرَةٌ

بعد أن طلَّق زوجته نجية، قال لها: «اذهبي إلىٰ بيت أهلِك»، فقالت: «لن أذهب، ولن أخرج من هذا البيت إلا بحتف أنفي!!»، فقال لها: «لقد طلقتُك، ولا حاجة لي فيك، اخرجي من بيتي»، فقالت: «لن أخرج، ولا يجوز لك إخراجي من البيت حتىٰ أخرج من العِدَّة وعليك النفقة»، فقال: «هذه جرأة ووقاحة وقلة حياء».

قالت: «لستَ أكثر تأديبًا من الله جلَّ جلاله»، وقرأتْ قولَ الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق:١].

فنفض عباءته بشدة، وأدبر غاضبًا، وهو يقول في تذمُّر: «والله بلشة».

أما هي، فابتسمت وكأن شيئًا لم يحدث، وجمعت أمرها، فكانت تتعمَّد في كل يوم تجمير البيت (أي تبخيره)، وتتزيَّن له وتتعطَّر، وتجلس له في طريق خروجه من البيت ودخوله إليه، فلم يُقاوِم لأكثر من خمسة أيام، وأعادها إليه.

وذات يوم تأخَّرت في إعداد الفطور، فقال لها مُعنِّفًا: «هذا

تقصيرٌ منك في حقِّي عليك، وهو ليس من سلوك المرأة المؤمنة»، فقالت له: «احمل أخاك المؤمن على سبعين مَحْمَل من الخير، وحُسْنُ الظَّن من أفضل السجايا، وهو كذلك راحةٌ للبال وسلامةٌ للدين، ومَن حَسُنَ ظنُّه بالناس حازَ محبَّتهم».

فقال لها: «هذا كلام لا ينفع في تبرير التقصير، أيُرضيك أن أخرج بدون فطور؟»، فقالت له: «من صفات المؤمن الحق القناعة بما قَسَم الله عَزَّوَجَلَّ له ولو كان قليلًا، والرسول الأعظم الأكرم ﷺ يقول: ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ))[1]»، فقال: «لن آكل أيَّ شيء!!»، فقالت: «أنت لم تتعلم الدرس».

لم يلتفت إلىٰ كلام زوجته، وخرج غاضبًا من بيته، ولم يُكلمها بعد عودته إليه، وفي الليل هجر فراشها، فنام أسفل السرير، واستمرَّ علىٰ تلك الحال لعشر ليالٍ بأيامها، وكانت في النهار، تُهيِّء له طعامه وشرابه، وتقوم علىٰ عادتها بجميع شؤونه، وفي الليل تخلع لباس الحياء، فتتزيَّن، وتتعطَّر، وتنام في فراشها، إلا أنها لا تُكلِّمه عن قَصدٍ وتدبير، وفي الليلة الحادية عشر، نام في أول الأمر كعادته أسفل السرير، ثم صعد إلىٰ سريره، فضحكت وقالت له: «لماذا جئت؟»، فقال لها: «لقد انقلبتُ!!»، فقالت: «ينقلبون من الأعلىٰ

(١) مسند الإمام أحمد (حديث رقم: ٦٥٧٢، ج ١١، ص ١٣٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إلىٰ الأسفل، وليس من الأسفل إلىٰ الأعلىٰ»، فقال وهو يبتسم: «المغناطيس فوق السرير، أقوىٰ من جاذبية الأرض»، ثم قال في بهجة وسرور: «لو أنَّ كلَّ النساء مثلك يا نجية لما طلَّق رجلٌ زوجته، ولحُلَّت جميع المشاكل في البيوت، لقد كنتِ نِعْمَ المعين علىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، فجزاك الله عني خير الجزاء، ولا فرَّق الله بيننا».

أَقْوَالٌ مَشْهُورَةٌ

بعض الأقوال في فضل الكتاب والقراءة:

✓ سُئل عبد الله البخاري[١] عن دواءٍ للحفظ فقال: «إدمان النظر في الكتب».

✓ يقول فولتير[٢]: «سُئِلتُ عمَّن سيقود الجنس البشري؟ فأجبتُ: الذين يعرفون كيف يقرؤون».

✓ يقول عباس محمود العقاد: «اقرأ كتابًا جيدًا ثلاث مرات أنفع لك من أن تقرأ ثلاثة كتب جيدة».

✓ يقول المثل الصيني: «الكتاب نافذة نتطلَّع من خلالها إلىٰ العالم».

✓ قيل لأرسطو: «كيف تحكم علىٰ إنسان؟ فأجاب: أسأله كم كتابًا يقرأ، وماذا يقرأ».

---

(١) هو عبد الله بن عبد الرحيم بن حسين بن محمود السعدي، نسبة إلىٰ بني سعد من الطائف، ثم البخاري المدني، ولد في المدينة المنورة، له العديد من المؤلفات.

(٢) فرانسوا ماري آروويه (ت ١٧٧٨م)، يُعرف باسم شهرته فولتير، كاتب وفيلسوف فرنسي عاش خلال عصر التنوير، عُرف بنقده الساخر، وذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية الطريفة ودفاعه عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة والمساواة وكرامة الإنسان.

✓ يقول المثل الألماني: «لا ينمو الجسد إلا بالطعام والرياضة، ولا ينمو العقل إلا بالمطالعة والتفكير».

✓ يقول أوليفر سميث[١]: «عندما أقرأ كتابًا للمرة الأولىٰ أشعر أني قد كسبت صديقًا جديدًا، وعندما أقرأه للمرة الثانية أشعر أني ألتقي صديقًا قديمًا».

✓ يقول بيير دو لاجورس[٢]: «قل لي ماذا تقرأ، أقل لك مَن أنت».

✓ يقول بيتشر[٣]: «إن المكتبة ليست من كماليات الحياة ولا من لوازمها، ولا يحقُّ لإنسان أن يربي أولاده بدون أن يحيطهم بالكتب».

✓ يقول ديبارو[٤]: «الكتاب صديق لا يخون».

---

(١) أوليفر جولد سميث (ت ١٧٧٤م)، روائي إنجليزي - أيرلندي، وكاتب مسرحي وشاعر، مشهورٌ بروايته «قس ويكفيلد» وقصيدته «القرية المهجورة» ومسرحياته «الرجل الطيب» و «تَمسكَنت فَتمكَّنت».

(٢) بيير دي لا جورس (ت ١٩٣٤م)، قاضٍ ومحامي ومؤرخ فرنسي، أَلَّف كتبًا عن الجمهورية الفرنسية الثانية والإمبراطورية الفرنسية الثانية والثورة الفرنسية، بالإضافة إلىٰ موضوعات أخرىٰ.

(٣) هنري وارد بيتشر (ت ١٨٨٧م)، رجل دين أمريكي ومصلح اجتماعي ومتحدِّث معروف بدعمه لإلغاء العبودية.

(٤) جيرارد زافير مارسيل ديبارديو، هو ممثل ومخرج أفلام فرنسي، وُلد عام ١٩٤٨م.

✓ يقول ساجد العبدلي[١]: «لا يمكن أن تكون القراءة هواية؛ إذ كيف لشيءٍ يُكسِبك معنىٰ الإنسانية، ويُطوِّرك معرفيًّا، ويُهذِّبك وجدانيًّا، ويُعرِّفك بالعالم المحيط أن يكون ثانويًّا».

✓ يقول هنري ميلَر[٢]: «الكتاب ليس فقط صديقًا، بل يصنع لك أصدقاء».

(١) ساجد بن متعب العبدلي المطيري، طبيب كويتي، واختصاصي في الصحة المهنية، وناشط سياسي تدرَّج في المناصب في المكتب السياسي للحركة السلفية حتىٰ أصبح رئيسًا لمكتبها السياسي، ثم أصبح عضوًا مؤسسًا لحزب الأمة الذي انشق عن الحركة السلفية بفكر وأطروحات أخرىٰ.

(٢) هنري ميلَر (ت ١٩٨٠م)، روائي ورسَّام أمريكي، عُرِف عنه عدم رضاه عن الاتجاه الأدبي العام في الأدب الأمريكي، وبدأ تطوير نوع جديد من الرواية، والتي هي عبارة عن خليط من القصة والسيرة الذاتية والنقد الاجتماعي والنظرة الفلسفية والتصوُّف.

كَلِمَاتٌ وَمَعَانٍ

■ **الطواغيت**[١]:

بيوت اتخذتها قريش مع الكعبة، وتُعظِّمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحُجَّاب، وتُهدي لها كما تُهدي للكعبة، وتطوف بها كطوافها بالكعبة، وتنحر عندها.

■ **البَلِيَّة**[٢]:

هي الناقة التي كانت تُعقَل [أي تُربَط] عند قبر صاحبها إذا مات حتىٰ تموت جوعًا وعطشًا، ويقولون: إن صاحبها يُحشَر راكبًا عليها، ومن لم يُفعَل معه هذا حُشِر راجلًا [أي ماشيًا علىٰ قدميه]، وهذا علىٰ مذهب مَن كان يقول منهم بالبعث.

■ **الكافَّة**[٣]:

تُطلَق علىٰ الجماعة من الناس، لقُوَّتها بالاجتماع، لأنها قادرة علىٰ كفِّ غيرها. قال بعض المفسِّرين في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ:٢٨]، أي كافًّا لهم عن المعاصي، والتاء للمبالغة، كالتاء في «الراوية»، أي: الكثير الرواية.

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ص ٨٣.
(٢) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ١١، ص ١٢٩.
(٣) تلقين الصبيان، السالمي، ص ١٧.

غِذَاءُ العُقُول

يقول علي بن نايف الشحود في بحثه عن «العقلانية»[١]:

«لم تكن الفلسفة قط من وسائل الهداية للبشرية! إن غاية ما يمكن أن تصل إليه هو نوع من المتعة العقلية عند هواة هذا اللون من المتعة، وهم بطبيعتهم محدودون ولكنها- وحدها- لم تنشئ قط أمة ولم تحرك أمة، والقليلون الذين يجدون فيها المتعة العقلية ينتهي بهم الأمر إلىٰ هذا المتاع الذاتي ولا زيادة، أو إن تحركوا فلا تزيد حركتهم علىٰ محاولة إحداث هذه المتعة عند مجموعة قليلة حولها ولا زيادة، إنها لا تهدف إلىٰ إحداث «سلوك» معيَّن في واقع حياة الناس، ولا تملك ذلك.

ونظرة سريعة إلىٰ واقع المجتمع الإغريقي الذي عاش فيه أولئك الفلاسفة والمفكرين الكبار نتبيَّن هذه الحقيقة بوضوح؛ فما كانت هناك صلة علىٰ الإطلاق بين «أفكار» هؤلاء الفلاسفة و «واقع» الناس، هؤلاء يتكلمون في «الحكمة» وفي السلوك الإنساني «كما ينبغي أن يكون»، والمجتمع غارق في كل أنواع الفسق والرذيلة والفساد والظلم، ولا يعني نفسه بشيءٍ مما يملأ «أذهان» أولئك المفكرين.

(١) موسوعة الرد علىٰ المذاهب الفكرية المعاصرة، علي بن نايف الشحود، ج ٢١، ص ٦.

أما العقيدة فلها شأن آخر؛ إنها تخاطب العقل فيما تخاطبه من كيان الإنسان، ولكن لا من أجل المتعة العقلية كما تصنع الفلسفة، بل من أجل إحداث الوعي اللازم بحقيقة الألوهية، الذي يترتب عليه الوعي بالالتزام الواجب تجاه تلك الحقيقة، أي الالتزام بمقام العبودية، الذي يستلزم الحبَّ والخشية والطاعة والاستقامة علىٰ أمر الله.

ثم إنها تخاطب الوجدان، أو قل إنها تُركِّز خطابها مع الوجدان- وإن كانت قط لا تهمل مخاطبة العقل-، لأن الوجدان إنْ هو الأداة المثلىٰ لتحويل قِيَم العقيدة ومبادئها إلىٰ سلوك عملي، لأنه حيٌّ منفعل متحرك، فهو الأقدر علىٰ تلقِّي الشحنة العقيدية، هو الأقدر علىٰ ترجمتها في صورة واقعية حية، لأن من طبيعته أن ينفعل بما يتلقىٰ، ويُشِعُّ من هذا الانفعال في داخل النفس يقينًا اعتقاديًّا من جهة، وتوجُّهًا متحركًا يتناسق مع هذا اليقين من جهة أخرىٰ.

ولذلك كانت العقيدة الحية دائمًا هي التي تُنشئ الأمم وتحكم السلوك البشري، وكانت دائمًا سبيل الهداية للبشرية.

...

وأما الانحراف الثالث الناشئ من التناول العقلاني لقضية الألوهية، وعدم الرجوع فيها إلىٰ المصدر اليقيني الأوحد وهو الوحي الرباني، فهو تخبُّط الفلاسفة فيما بينهم، وتعارُض ما يقوله

كل واحدٍ منهم مع ما يقوله الآخر.

ولا عجب في ذلك، فما دام «العقل» هو المحكَّم في هذه القضية، فعقلُ مَن؟! إن العقل المطلق أو العقل المثالي لا وجود له في عالم الواقع! إنما الموجود في الواقع هو عقل هذا المفكِّر وذاك المفكِّر، لكلٍّ منهم طريقته الخاصة في «تعقُّل» الأمور، ولكلٍّ منهم «نوازعه» الخاصة التي يحسبها بعيدة عن التأثير في عقله وهو واهم في حسابه، ولكلٍّ منهم اهتماماته الخاصة التي تجعله يُركِّز علىٰ أمور ويغفل غيرها من الأمور.

ومَن ثم لا تصبح تلك الفلسفة في هذه القضية بالذات أداة هداية، وإنما أداة تشتيت وأداة تضليل».

أَمْثَالٌ مَشْهُورَةٌ

١- إنك لا تجني من الشوك العنب

يتداول الناس هذا المثل فيما بينهم منذ القدم، ويُقصَد به أن ليس كل ما يُزرع يكون طيبًا؛ فالشوك لا ينتج إلا الشوك، والعنب لا ينتج إلا العنب، وما زرعته في حياتك ستحصده، إن زرعتَ الخير فستجني خيرًا، وإن زرعتَ الشرَّ، فلن تجد إلا شرًّا، ويُضرب لمن يرجو المعروف من غير أهله، أو لمن يفعل الشرَّ وينتظر حصاد الخير، ويُضرب أيضًا فيمن يحاول إصلاح شخصٍ سيء التربية، لا نفع يُجدي فيه ولا نصح.

وللمثل قصة؛ وهي أنه يُحكىٰ أن صبيًّا وجد أباه يغرس شجرة في البستان، وبعد فترة ليست بطويلة، طرحت الشجرة ثمارًا من العنب اللذيذ، تذوقه الصبيُّ وأُعجِب به كثيرًا، ولصغر سِنِّه ظنَّ أن كل ما يُزرع في أرض البستان سيطرح عنبًا، فوجد ذات مرة شجرة من الشوك ملقاة علىٰ الطريق، فأخذها وغرسها في البستان، وانتظر أن يجني منها العنب، كما جنىٰ من الشجرة التي غرسها والده من قبل، ولكنه فوجئ بعد مدة بالشوك ينتشر في أغصانها، ولم تظهر بها ثمار العنب، وهنا قال له أبوه: إنك لا تجني من الشوك العنب.

٢- جوِّع كلبَك يتبعك

مـن الأمثـال المتواتـرة علـىٰ ألسـنة النَّـاس، وهـو مثـلٌ عربـيٌّ قديـم، ويُذكـر في الطريقـة التـي يجـب أن يُعامـل بهـا القـوم اللئـام، وأوَّل مـن قـال هـذه العبـارة ملـكٌ مـن ملـوك حِمْيَـر، كان فظًّـا علـىٰ رعيَّتـه، يُجوِّعهـم ويسـلبهم مـا في أيديهـم مـن المـال وغيـره، وقـد أخبـره بعـض الكهنـة أن رعيَّتـه سـتقتله، ولكنـه لـم يهتـمَّ لكلامهـم، وقـد حذَّرتـه زوجتـه منهـم؛ ذلـك أن الرَّعيَّـة كانـت تعيـش في شَـظَفٍ مـن الحيـاة، وهـو وأسـرته كانـوا يعيشـون حيـاة رغيـدة، فـكان يقـول لهـا: «جـوِّع كلبَـك يتبعـك».

وذات يـوم أرسـل قومـه إلـىٰ غـزوة، ولـم يُعطِهِـم مـن الغنائـم شـيئًا، فحرَّضـوا أخـاه علـىٰ قتلـه، وكان أخـوه يعلـم مقـدار ظلـم أخيـه لرعيَّتـه، فوثبـوا عليـه جميعًـا، وأردَوْه جُثَّـة هامـدة، وجعلـوا أخـاه ملكًـا عليهـم مكانـه، فمـرَّ بالملـك وهـو مقتـول عامـر بـن جذيمـة، وكان قـد سـمع قـول الملـك: «جـوِّع كلبَـك يتبعـك»، فقـال: «ربمـا أكل الكلـب مؤدِّبـه إذا لـم ينـل شـبعه»، فصـار هـذا القـول أيضًـا مثـلًا عنـد العـرب.

٣- اختلط الحابِلُ بالنَّابِلُ

الحابِـلُ هـو صاحـب الحبـال أي المصيـدة التـي تُصـاد بهـا الحيوانـات، وأمَّـا النَّابِـل فهـو الرَّامـي الـذي يصيـد الحيوانـات بالقـوس

والنبال، فإذا اجتمع الصيادون- وهم أصحاب الحبال وأصحاب النبال- اختلطوا، فلا يستطيع أحدٌ منهم أن يصيد شيئًا، فيُقال اختلط الحابِل بالنَّابِل. كذلك، كانت المعارك في الماضي تُوزَّع فيها مهمة رمي النبال والسهام علىٰ جنود، ومهمة إمساك حبال الخيل والجمال علىٰ جنود آخرين، وعند اشتداد المعركة والتحام الجيشين المتحاربين، وارتفاع النقع، وتنازل الفرسان، واصفرار الألوان، وسطوع الوهج من سنابك الخيل، وتزلزل الأقدام، حينها لا يُعرف الحابِل من النَّابِل، أي مَن يُمسك الخيل والجمال من الذي يرمي النبال والسهام.

ويُضرَب المثل عندما تختلط آراء النَّاس مع بعضها، ولم يُتبيَّن شيءٌ منها، يُقال: اختلط الحابِل من النَّابِل؛ أي لم يعُد هناك شيءٌ واضح، وإذا كان الإنسان لا يملك شيئًا من أمره أو ليس له غنيمةٌ من الدُّنيا يُقال: لا حابلٌ له ولا نابلٌ؛ أي ليس له أيُّ شيء، وقد وضَّح الزمخشري في كتابه «المستقصىٰ في أمثال العرب» أنَّ الأمور إذا اختلطت فلم يُعرف منها شيءٌ يُقال عنها: اختلط الحابِل بالنَّابِل.

ثَقَافَةٌ عَامَّةٌ

في صيف كل عام تستقبل عُمان موسم جَدَاد النخيل، وقد عرَّف ابن منظور في لسان العرب بعض الألفاظ المرتبطة بهذا الموسم، وهي مستخدمة عند العمانيين حتىٰ اليوم، وكأنه أتىٰ من مصر يومًا ليشهد هذا الموسم في عمان! من هذه الألفاظ:

✓ **البُسْرُ**[١]: التَّمْرُ قَبْلَ أَن يُرْطِبَ لِغَضاضَتِه، وَاحِدَتُهُ بُسْرَةٌ... والبُسْرُ: مَا لَوَّنَ ولم يَنْضِجْ، وإذا نضِجَ فقد أَرْطَبَ؛ **الأصمعي**: إذا اخْضَرَّ حَبُّه واستدار فهو خَلالٌ، فإذا عظم فهو البُسْرُ، فإذا احْمَرَّتْ فهي شِقْحَةٌ. **الجوهري**: البُسْرُ أَوَّله طَلْعٌ ثم خَلالٌ ثم بَلَحٌ ثم بُسْرٌ ثم رُطَبٌ ثم تمر، الواحدة بُسْرَةٌ وبُسُرَةٌ وجمعها بُسْراتٌ وبُسُراتٌ وبُسْرٌ وبُسُرٌ.

✓ **أَبْسَلَ البُسْرَ**[٢]: طَبَخَهُ وجَفَّفَهُ.

✓ **السَّرادة**[٣]: الخَلالة الصُّلْبة. والسَّرَّاد: الزرَّاد. والسَّرادَةُ: البُسْرةَ تحْلو قبل أَن تُزْهِيَ وهي بلَحة. وقال أَبو حنيفة: السَّراد الذي يسقط من البُسْر قبل أَن يدرك وهو أَخضر، الواحدة سَرادة.

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٤، ص ٥٨.
(٢) المرجع السابق، ج ١١، ص ٥٥.
(٣) المرجع السابق، ج ٣، ص ٢١٢.

والسَّراد من الثمر: ما أَضرَّ به العطش فيبس قبل يَنْعِه، وقد أَسرَدَ النخلُ.

✓ الحَشَفُ مِنَ التَّمْرِ[١]: ما لم يُنْوِ، فإذا يَبِس صَلُب وفسد لا طعْم له ولا لِحاء ولا حلاوة. وتمر حَشِفٌ: كثير الحَشَف على النِّسبة وقد أَحْشَفَتِ النخلةُ أَي صار تَمْرُها حَشَفًا. الجوهري: الحَشَفُ أَردَأُ التمر. وفي المثل: أَحَشَفًا وسُوءَ كِيلة؟ وفي الحديث: أَنه رأَى رجلًا عَلَّقَ قِنْوَ حَشَفٍ تَصَدَّق به؛ الحَشَفُ: اليابِسُ الفاسِدُ من التمر، وقيل: الضعيف الذي لا نَوَى له كالشِّيصِ.

✓ الفَرْضُ[٢]: ضَرْبٌ مِنَ التَّمْرِ، وَقِيلَ: ضَرْبٌ مِنَ التَّمْرِ صِغَارٌ لأهل عُمان؛ قَالَ شَاعِرُهُمْ:

إِذا أَكلتُ سمَكًا وفَرْضًا ذهَبْتُ طُولًا وذهَبْتُ عَرْضًا

✓ جَدَّ النخلَ[٣]: يَجُدُّه جَدًّا وجِدادًا وجَدادًا؛ عن اللحياني: صَرَمَهُ. وأَجَدَّ النخلُ: حان له أَن يُجَدَّ. والجَدادُ والجِدادُ: أَوانُ الصِّرام. والجَدُّ: مصدرُ جَدَّ التمرَ يَجُدُّه؛ وفي الحديث: نهى النبي، ﷺ، عن جَدادِ الليلِ؛ الجَدادُ: صِرامُ النخل، وهو قطع ثمرها؛ قال أَبو عبيد: نهى أَن تُجَدَّ النخلُ ليلًا ونَهْيُه عن ذلك

(١) المرجع السابق، ج ٩، ص ٧٤.
(٢) المرجع السابق، ج ٧، ص ٢٠٦.
(٣) المرجع السابق، ج ٣، ص ١١٢.

لمكان المساكين لأنهم يحضرونه في النهار فيتصدق عليهم منه لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤١]؛ وإذا فعل ذلك ليلًا فإنما هو فارٌّ من الصدقة؛ وقال الكسائي: هو الجَداد والجِداد والحَصادُ والحِصادُ والقَطافُ والقِطافُ والصَّرامُ والصِّرام، فكأَنَّ الفَعال والفِعالَ مُطَّرِدانِ في كل ما كان فيه معنىٰ وقت الفِعْلِ، مُشبَّهانِ في معاقبتهما بالأَوانِ والإِوانِ، والمصدر من ذلك كله علىٰ الفعل، مثل الجَدِّ والصَّرْمِ والقَطْفِ.

✓ القَفِير[١]: الزَّبيل؛ يمانية. أَبو عمرو: القَفِير القَلِيفُ والنجوية الجُلَّة العظيمة البَحْرانية التي يُحْمَلُ فيها القِبابُ، وهو الكَنْعَدُ المالِحُ.

✓ المِجَزُّ[٢]: ما يُجَزُّ به. وجَزَّ النخلة يَجُزُّها جَزًّا وجِزازًا وجَزازًا؛ عن اللحياني: صَرَمها.

✓ السَّطْحُ[٣]: سَطْحُك الشيءَ علىٰ وجه الأَرض كما تقول في الحرب: سَطَحُوهم أَي أَضْجَعُوهم علىٰ الأَرض. وتَسَطَّحَ الشيءُ وانْسَطَحَ: انبسط.

✓ البُهارُ[٤]: ثُلُثُمِائَةِ رِطْلٍ، وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ الأعرابي، قَالَ:

(١) المرجع السابق، ج ٥، ص ١١١.
(٢) المرجع السابق، ج ٥، ص ٣٢٠.
(٣) المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٨٤.
(٤) المرجع السابق، ج ٤، ص ٨٤.

والمُجَلَّدُ سِتُّمِائَةِ رِطْلٍ، قَالَ الأزهري: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَن البُهار عَرَبِيٌّ صَحِيحٌ.

✓ الدَّعْن[1]: سَعَف يُضَمُّ بَعْضِهِ إِلىٰ بَعْضٍ ويُرَمَّلُ بالشَّريط وَيُبْسَطُ عَلَيْهِ التَّمْرُ، أَزْديّة.

(١) المرجع السابق، ج ١٣، ص ١٥٥.

مَقالٌ صَحَفِيٌّ[١]

سبعة ملايين تقريبًا ينتمون للمذهب الإباضي، يتوزَّعون على أربع دول عربية في مقدمتها سلطنة عمان، ومثلها أفريقية، حياتهم الاجتماعية لا تنفصل عن الآخرين، يتزاوجون مع المنتمين إلى المذاهب الأخرى، عاداتهم هي نفس عادات الآخرين في المجتمعات التي يعيشون فيها، لهم آراء محدَّدة في الخلافة والحُكْم، وأسلوب التعامل مع الحُكَّام.

ويُؤكِّد الشيخ أحمد بن حمد الخليلي- المفتي العام لسلطنة عمان- أنه لا توجد أيُّ ممارسات خاصة بالمذهب الإباضي سوى ما أقرَّه شرع الله من صلاة وصيام وحج بيت الله وإيتاء الزكاة. وفي إجابته حول فكرة توريث الحُكْم الذي يرفضه المذهب الإباضي، وما يجري الآن في سلطنة عمان من توريث الحُكْم، قال: إنه لا بُدَّ من أن تراعى مصلحة الأمة، وإذا اقتضت مصلحة الأمة ذلك فمن الممكن أن يُورَّث الحُكْم.

---

(١) «٧ ملايين أباضي .. ما هو أسلوبهم في الدين والحياة والزواج؟»، إبراهيم هباني، مقال نُشِر على موقع قناة العربية بتاريخ ٢/ ٦/ ٢٠٠٥م، تم الاطلاع عليه على الشبكة العنكبوتية بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٢١م، على الرابط الآتي:
http://www.alarabiya.net/articles/2005/06/02/13596.html

ويقول في حوار خاصٍّ مع (العربية.نت) أن المذهب الإباضي يعتمد علىٰ الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وأنه يميل إلىٰ الشورىٰ، ويرفض أن تُورَّث الخلافة، كما يعتبر أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يشمل الكبير والصغير.

ودعا الشيخ الخليلي المسلمين بجميع مذاهبهم إلىٰ التوحُّد والتكاتف وتناسي خلافاتهم في هذا الوقت، سِيَّما مع هذه الأزمات التي تحيط بالمسلمين، مُؤكِّدًا أن المذهب الإباضي يهتم بهموم الأمة الإسلامية وقضاياها.

وأفاد الشيخ الخليلي أن الإباضية في سلطنة عمان يُمثلون نسبة ٧٥٪ من الشعب العماني، ويوجدون كذلك في الجزائر وتونس وليبيا وغانا ومالي والكنغو وتنزانيا، ويتراوح عددهم بين ستة وسبعة ملايين بالتقريب، وذلك لعدم وجود إحصائيات دقيقة.

لا فصل بين الدين والسياسة

ويرىٰ الشيخ الخليلي أن المذهب الإباضي لا يفصل بين السياسة والدين، وأنهما «توأمان» ويسيران جنبًا إلىٰ جنب، وأن المذهب الإباضي يهتمُّ بالدين ولا يغفل السياسة. كما أكَّد أن الإباضية يتزاوجون من كافة المذاهب الإسلامية « كلُّ من نطق بالشهادتين»، في الوقت ذاته ينفي الشيخ الخليلي أنه توجد عادات

وتقاليد خاصة بالإباضية، بل هي نفس عادات الأمة الإسلامية، وهذا ما يُميِّز المذهب الإباضي عن المذاهب الأخرىٰ، وعادات الإباضية في السلطنة هي نفس عادات الجزيرة العربية، وعاداتهم في شمال أفريقيا هي أيضًا نفس عادات المنطقة.

ومن جانب آخر قال الشيخ إبراهيم بن حمود الصبحي، عضو مجلس الدولة في سلطنة عمان، إن المذهب الإباضي ظهر في القرون الأولىٰ للهجرة، ويُنسب لعبد الله بن أباض التميمي من قبيلة تميم التي انتشرت في جنوب العراق وعلىٰ الأخص في مدينة البصرة، وهي كغيرها من القبائل العربية نتاج هجرات قبلية عربية متتالية من شبه الجزيرة العربية.

ويضيف الصبحي أن ما يُميِّز المذهب الإباضي عن بقية المذاهب الإسلامية أنه أول مذهب نشأ في الدولة الإسلامية؛ إذ تأسَّس في القرن الأول الهجري، وهو أيضًا أول مذهب عقائدي فكري سياسي له آراؤه المستقلة في العقيدة والحُكْم وهو الأكثر اعتدالًا.

أول مذهب في الدولة الإسلامية

ويقول إن ما يُميِّز المذهب الإباضي عن غيره علىٰ سبيل المثال لا الحصر أنه أول مذهب نشأ في الدولة الإسلامية؛ إذ

تأسَّس في القرن الأول الهجري، وإذا نُسِب إلىٰ إمامه عبد الله بن أباض فيكون ذلك في القرن الثاني الهجري، وهو أول مذهب فكري عقائدي سياسي كانت له آراؤه المستقلة في العقيدة والحُكْم. وهو مذهب معتدل في دعوته وسيرته، وفي دولته التي أقامها في العديد من بلدان الإسلام مثل عمان والبصرة وحضرموت والمدينة المنورة ومكة المكرمة ومصر وشمال أفريقيا في طرابلس وجبال نفوسة في ليبيا وفي جربة بتونس وفي جبال الجزائر ووادي ميزاب، حتىٰ إنه وصل إلىٰ الأندلس، وتأسَّست للمذهب دول في عمان التي ما زالت تُدين غالبيتها بالمذهب الإباضي، وهناك ما يزيد علىٰ المليون إباضي يقطنون وادي ميزاب بالجزائر، والذي يبعد عن الجزائر العاصمه بأكثر من ٧٠٠ كيلومترًا، والدولة الرستمية التي أسَّسها عبد الرحمن بن رستم الفارسي كانت من أوائل الدول الإباضية.

ويقول الدكتور رجب محمد عبد العليم في كتابه (الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة): «ساعدهم علىٰ ذلك ما كان يمتاز به مذهبهم من الاعتدال، وما كان يدعو إليه من إصلاح ومساواة وعدالة، وما كان ينادي به من تطبيق لهذه المبادئ في ضوء أخوة الإسلام التي تجمع الجميع ولا تفرق بين عربي ومصري وبربري». ويقول في صفحة (٥٤) وهو يتحدَّث عن اعتدال المذهب الإباضي وتسامح علمائه: «اتُّهِمَ الإباضية

عند كثير من كُتَّاب الفِرَق والمذاهب بالغلو والتطرُّف، وكان هذا الاتهام الذي جاء عمدًا أو عن جهل، لأهداف لا تخفىٰ عن الفَطِن اللبيب ودارس التاريخ الذي يقرأ كتب الإباضية ويلمس بنفسه ما عندهم من اعتدال».

ويقول في موضع آخر: «ولا يخفىٰ أن الإباضية رغم اعتدالهم من الناحيه المذهبية والفقهية، إلا أنهم كانوا في عداءٍ سياسي مع بني أمية وبني العباس، نظرًا لأنهم كانوا يقولون بأن الإمامة أو الخلافة حقٌّ لأيِّ مسلم صالح، فلا تكون قاصرة علىٰ قريش ولا علىٰ بطونها المختلفة من الأمويين أو العباسيين أو العلويين».

ويقول مصطفىٰ الشكعة في الصفحة ١٠٥ من كتابه (إسلام بلا مذاهب) في وصف الإباضية: «ويقولون نحن الإباضية كالشافعية والحنفية والمالكية، ويقولون إنهم رُمُوا بهذا اللقب (الخوارج) لأنهم رفضوا القرشية، أي التزام أن يكون الإمام من قريش»، ويضيف في موضع آخر: «وعقيدة الإباضية تتفق مع أهل السنة في الكثير وتختلف في القليل، فهم يعترفون بالقرآن والحديث كمصدر للعلوم الدينية، ولكنهم يقولون بالرأي بدلًا من القياس والإجماع. هذه العبارات التي وردت في كتاب إبراهيم عبد الباقي (الدين والعلم الحديث)».

التكتُّل الرابع للفرَق الإسلامية

ويستطرد الصبحي قائلًا: «طالعتُ ذلك شخصيًّا في الكتاب القيِّم الذي وضعه الشيخ علىٰ يحيىٰ معمَّر بعنوان (الإباضية بين الفِرَق الإسلامية عند كُتَّاب المقالات في القديم والحديث)، والشيخ علىٰ يحيىٰ معمَّر من علماء الإباضية الأجلاء، ومن قبله الشيخ العلامة أبو إسحاق إبراهيم أطفيش. وهذا رأي الإباضية في الحُكْم وقد ورد ذكره في الكتاب السابق صفحة ٤٣٩، ومن هذا التكتُّل «التكتُّل الرابع لدىٰ الفِرَق الإسلامية» انبثقت مذاهب الإباضية، وهناك عدة آراء بشأن الخلافة أي الحُكْم والدولة منها:

١. مَن يُمسك رئاسة الدولة سواءٌ كانت رئاسة دينية أو دنيوية واجبٌ طاعته والخروج عليه فسق.

٢. إمام المسلمين (الحاكم هنا) سواءٌ جاء بطريق الشورىٰ أو بغيره إذا كان عادلًا تجب طاعته والخروج عنه فسق.

هذا بعض ما ورد في الكتاب، وأيُّ مطلب يجب أن يعتبر بهذه المبادئ السامية التي وردت في الكتاب والسنة، ومنهما أخذ المذهب الإباضي تشريعاته.

نظرتهم إلى المناصب الحكومية

أما فيما يتعلق بالمناصب الحكومية، فلا ينظر فيها إلا من

خلال الكفاءة العلمية والخبرة العملية، ولا تدخل فيها أُسُس أخرىٰ إلا ما تراه القيادة من صلاح أمر الأمة، وهي مرتكزات قيام الدولة في سلطنة عمان. ولا تتوزع المناصب كما يعتقد البعض بناء علىٰ مفاهيم مذهبية أو قبلية أو محسوبية. لذلك تعتمد القيادة في عمان علىٰ أن الكفاءة والقدرة لدىٰ الفرد هما عامل الحسم في الحصول أو التأهُّل للحصول علىٰ المناصب، وهو المبدأ الذي تعمل القيادة علىٰ تعميقه بين كافة المواطنين علىٰ حدٍّ سواء منذ ٣٥ عامًا. أما الجمع بين الدين والسياسة أو الفصل بينهما فهو مبدأ سياسي دخيل علىٰ الإسلام.

فإذا كانت الدولة إسلامية ونظامها الأساسي (دستورها) يعتمد علىٰ مصادر التشريع الإسلامي المعروفة لدىٰ علماء الدين، فإن السياسة هي جزء كما أن الدين جزء من هذه الدولة. والجزءان متَّسِقان ومنسجمان ومكمِّلان لبعضهما. والمهم في ذلك كله كما يراه أهل المذهب ألا يحدث تعارض أو تصادم أو اختلاف بين الدين والسياسة علىٰ مصلحة الأمة التي يرعاها ويحافظ عليها ولي الأمر، كما ورد في الآية الكريمة التي أوجبت هنا وفرضت علىٰ المسلم طاعته.

والأمور الدينية في عمان تعمل ضمن مؤسساتها الرسمية، ولها رجالها الذين يقومون بالإشراف عليها ومتابعة شؤونها، والمتمثلة في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية والإفتاء العام، ومن خلال

علمـاء ورجـال الديـن الذيـن تمتـد جـذور خبرتهـم عبـر ١٢ قرنًـا مـن الزمـان، لـم تنفلـت فيـه زمـام الأمـور بـل بقيـت مترابطـة، فالديـن يدعـم السياسـة وكلاهمـا يسـيران في طريـق واحـد. كمـا أن السياسـة تعمـل ضمـن مؤسسـاتها الرسـمية، وهنـاك مجلـس الشـورىٰ ومجلـس الدولـة، وكلاهمـا يضـم مـن رجـال الديـن والسياسـة مـن لعـب دورًا هامًّـا في بنـاء الدولـة.

وقـال الشـيخ إبراهيـم الصبحي إنـه لا يجـب تحميـل الديـن أكثـر ممـا يحتمـل، وهـو تنظيـم أمـور الأمـة والحفـاظ علـىٰ مصالحهـا. وبعـد مـا يزيـد علـىٰ ثلاثـة عشـر قرنًـا مـن هجـرة الرسـول ﷺ للمدينـة المنـورة، لا يجـب أن تـؤدِّي الآراء «الاجتهـادات» مهمـا كانـت مصادرهـا إلـىٰ الإضـرار بمصالـح الأمـة، والشـرع واضـح في هـذا المجـال «فـلا إفـراط في الفكـر ولا تفريـط في الديـن»، وأيـة دعـوة قـد تـؤدي إلـىٰ الفتنـة والإيقـاع بالأمـة في مهـاوي المجهـول إنمـا هـي ضـدَّ المصالـح المرسـلة وغيـر المرسـلة للأمـة، وأيـة مطالـب للمسـلم كمـا أسـلفنا يجـب أن تنضـوي تحـت هـذا اللـواء «لا إفـراط ولا تفريـط».

وأيُّ خـروج عـن هـذه المفاهيـم إنمـا ردُّهـا يكـون لله عَزَّوَجَلَّ وللرسـول ﷺ، أي إلـىٰ القـرآن وإلـىٰ السـنة النبويـة الشـريفة وإلـىٰ ولاة الأمـور عبـر المؤسسـات الدسـتورية التي ارتضتهـا الأمـة، وتعمل مـن خلالهـا في إيصـال رأي المواطـن، وهـي التـي تـوازي «أهـل الحـل والعقـد» في مفهـوم الشـورىٰ الإسـلامية.

الإجابات

إجابات الأسئلة الثقافية

١ – ثابت بن قيس

٢ – ثكلىٰ

٣– حطين

٤ – حفصة بنت عمر بن الخطاب

٥ – الشيخ ناصر بن سالم بن عْدَيِّم الرواحي

٦ – دحية الكلبي

٧– ذات الرقاع

٨– الزبير بن العوام

٩– عبد الرحمن الغافقي

١٠ – كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية

إجابات الألغاز

١ – الأعور

٢ – علىٰ الخريطة

٣- البحر

٤- مقصور

٥- يكون الطفل ابنته

٦- لنفترض أن (س) هو رقم العشرات فيكون الآحاد هو (٢س)

٢س + س = ١٢

٣س = ١٢

س = ٤ (العشرات)

الآحاد = ٤ × ٢ = ٨

العدد هو: ٤٨

٧- العبادة هي تقبيل الحجر الأسود؛ فإنه لا يستطيع اثنان تقبيله في آنٍ واحدٍ.

٨- النحل؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل:٦٨].

٩- الأوائل: أول اللبن (اللباء)، أول النهار (الصبح)، أول الليل (الغسق)، أول الجيش (الطليعة)، أول الصباح (تباشير)، أول الشيب (الوخط)، أول الشرب (النهل)، أول الشباب (عنفوان).

١٠- المذنب هو «جيف»، والضحية هو «مايك»، والأسباب:

- ✓ «جاك» ليس المذنب، وإنما هو أخو المذنب.
- ✓ «دان» ليس المذنب، فلقد كان في الماراثون، والمذنب قد بُترت ساقه مؤخرًا.
- ✓ «بَن» ليس المذنب، فهو قد التقىٰ بـ «جاك» مؤخرًا، والمذنب و «جاك» نشآ معًا.
- ✓ نحن نعلم أن «جيف» لا يزال علىٰ قيد الحياة، لأنه يريد ضبط جهاز الكمبيوتر الجديد مع «بَن» الأسبوع المقبل.
- ✓ لم ينشأ «مايك» مع «جاك».
- ✓ إذا كان «جاك» و «دان» و «بَن» و «جيف» لا يزالون علىٰ قيد الحياة، فإن «مايك» قد فارق الحياة وهو الضحية.
- ✓ يمكننا فقط أن نستنتج أن «جيف» هو المذنب.

المراجع

١- ١٠٠ قصة من نهاية الظالمين، هاني الحاج، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون طبعة.

٢- أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار اقرأ، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عزير شمس، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ.

٤- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥- الأسس التربوية في ضوء القرآن الكريم، محمد بن عبد الله الأنصاري، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان، السودان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٦- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٧- الرائد، جبران مسعود، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: السابعة، ١٩٩٢م.

٨- الرحلة في طلب الحديث، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: نور الدين عتر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٥هـ.

٩- الزهد لابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٠- الزوجة المثالية في أعين الرجال، عايدة أحمد الرواشدة، الناشر: دار الإسراء للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٩٩٥م.

١١- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، الناشر: دار الساقي، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٢- برهان الحق، أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي، الناشر: الكلمة الطيبة، سلطنة عمان، الجزء الأول: الطبعة الثانية، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

١٣- تلقين الصبيان ما يلزم الإنسان، نور الدين عبد الله بن حميد بن سلُّوم السالمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ٢٠٠٤م، طبعة إليكترونية.

١٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٥- حاشية السندي على سنن ابن ماجه المسمى «كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه»، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت، بدون طبعة.

١٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: دار السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١٧- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفىٰ: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٨- سنن الترمذي، محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة بن موسىٰ بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسىٰ (المتوفىٰ: ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٩- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزبَه الجعفي البخاري (المتوفىٰ: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

٢٠- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفىٰ: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٢١- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٣- لا تحزن، عائض بن عبد الله القرني، الناشر: مكتبة العبيكان، السعودية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٤م.

٢٤- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢٥- مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن يعلى، أبو عبد الله، بدر الدين البعليّ (المتوفى: ٧٧٨هـ)، تحقيق: عبد المجيد سليم - محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيِّم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)،

المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٨- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفىٰ: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

٢٩- مسند الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفىٰ: ٤٥٤هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٣٠- منظمات العالم الخفي (الماسونية)، يوسف حسن المصري، مكتبة جزيرة الورد، ٢٠١٨م.

٣١- موسوعة الرد علىٰ المذاهب الفكرية المعاصرة، علي بن نايف الشحود، طبعة إليكترونية.

٣٢- نوادر الخلفاء المشهور بـ «إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس»، محمد، المعروف بديباب الإتليدي (المتوفىٰ: ق ١٢هـ)، المحقق: محمد أحمد عبد العزيز سالم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.